الفصل الثاني

أنواع الغزو الذي يتعرض له المسلمون اليوم في بلدانهم

قال في «لسان العرب»: (مادة غزا): غزا الشيء غزواً، أراده وطلبه، والغزوة -بالكسر- ما غُزي وطلب، ومغزى الكلام مقصده، وعرفت ما يُغزى من هذا الكلام: أي ما يراد منه، والغزو: القصد.

وبهذا تنحصر معاني هذه المادة: في الطلب والقصد والإرادة ومعرفة ما يراد، واليوم لم يعد خافياً ما يتعرض له المسلمون في بلدانهم من غزو وعدوان شامل، تداعت إليه أمم الكفر من كل حدب ينسلون، وهذا مصداق قوله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِهَا**..» الحديث[1].

وقد أخذ هذا الغزو والعدوان صوراً متعددة، كل واحدة منها لا تقل خطراً عن أختها، ولم يسلم من فتنة هذا الغزو إلا من رحم الله تعالى، فلا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

ويمكن إجمال أنواع الغزو الذي تتعرض له بلدان المسلمين اليوم فيما يلي:

---

(١) أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٨٣).

١- غزو عسكري.

٢- غزو فكري شبهاتي على العقيدة والأحكام.

٣- غزو شهواتي إباحي على الأخلاق.

وأسوق في هذا الفصل توصيفاً لهذه الأنواع من الغزو، ثم أتبعه في الفصل الذي يليه إن شاء الله تعالى ذكر مواقف الناس من هذا الغزو.

obeikandl.com

المبحث الأول

الغزو العسكري

وهو الغزو الذي اجتاحت به بعض أمم الكفر، واحتلت بجيوشها بعض أراضي المسلمين، فسامت أهلها سوء العذاب، وأكثروا في الأرض الفساد، كما هو الواقع في الغزو الأمريكي وحلفائهم من الغرب والشرق لدولة أفغانستان والعراق، وكما هو الواقع في الاحتلال اليهودي لفلسطين، والاحتلال الباطني لبلاد الشام، والاحتلال الفرنسي لدولة مالي، وكما هو الحاصل في كشمير وبورما وتركستان وغيرها.

ولقد عانى المسلمون في تلك الديار معاناة عظيمة في أديانهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، فكم قتل هؤلاء الغزاة من المسلمين، وكم سجنوا وعذبوا، وكم هتكوا من الأعراض، واستباحوا من الدماء والأموال، وكل ذلك يتم تحت نظر العالم وسمعه، ويتبجح هؤلاء الغزاة بلا خوف ولا حياء بأنهم قد أتوا لنشر الحرية والكرامة والديمقراطية وتطهير البلاد من الفساد والإرهاب!!

ومما يجب الانتباه إليه في هذا الغزو ابتهاج المنافقين في تلك البلاد بهذا الغزو واستدعاؤهم له، والتعاون مع الغازي المحتل في دخول الديار واحتلالها، ووقوفهم في خندق واحد مع الغزاة، ونظرة سريعة إلى مواقف

العلمانيين والليبراليين والرافضة الباطنين من هذا الغزو، وابتهاجهم وفرحهم به. وتوليهم المناصب في حكومة المحتل تُظهر لنا الدليل القاطع على عمالتهم وخيانتهم لأمتهم، ولولا أن الله ﷻ قدر -بعلمه وحكمته- أن يوجد مثل هؤلاء المنافقين من الرافضة والعلمانيين والنفعيين لما استطاع الكفرة الغزاة من دخول البلاد واحتلالها أبداً، وهذا مطرد في التاريخ القديم والحديث ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٣٨-١٣٩].

وأسوق فيما يلي بعض صور المعاناة والآلام التي عاناها ويعانيها المسلمون من الغزاة الكفرة وأوليائهم المنافقين، وذلك فيما يقومون به في تلك البلدان من عدوان صارخ على كرامة الإنسان وحقوقه في نفسه وماله وعرضه. فأين الكرامة والحرية التي يتذرع بها هؤلاء الكفرة الغزاة في أنهم جاءوا لإحيائها ونشرها في بلدان المسلمين؟!!

نشر موقع (Thawra on Line) تقريراً بعنوان (عشرة أعوام على الغزو الأمريكي للعراق.. عقد مملوء بالفوضى والموت والنزوح والفقر دفنت شعارات أمريكا الكاذبة) قال التقرير:

(أعطى القرار الأمريكي المشؤوم بغزو العراق متخطياً بصلف كل الشرائع السماوية والإنسانية الضوء الأخضر، لمرحلة عارمة بالفوضى والموت والتشتت والتمزيق في هذا البلد الذي شكل على الدوام نقطة ثقل لحضارة المنطقة واستقرارها في المراحل الأولى لعقد مضى على هذا

الغزو، قبل أن تنقلب الطاولة على الحسابات الأمريكية المزكومة بروائح النفط، وليعلن التاريخ واحدة من أكبر الهزائم التي منيت بها الإمبريالية الأمريكية في العالم من جهة، وليزيل اللثام في المقلب الآخر عن واحدة من أفظع الانتكاسات في التاريخ الإنساني من هول التخبط الأمريكي الذي أنتج مجازر إنسانية بالجملة طالت الحجر والبشر في هذا البلد من جهة ثانية.

القرار الأمريكي بالاعتداء على دولة ذات سيادة الذي عبر حينه عن مدى العجرفة الأمريكية خلف مآس كشفتها الدوائر الأمريكية أو المقربة منها قبل أن تكشفها دوائر رسمية وغير رسمية، ووثائق سربت لعشرات المواقع الإلكترونية المنتشرة في العالم، لعل أشهرها ما سمي وثائق »ويكيليكس« الموقع الإلكتروني الشهير بنشر الوثائق السرية، فقد كشفت وثائق سرية نشرت لأول مرة عن خفايا الغزو الأمريكي للعراق أن الجيش الأمريكي قتل مئات العراقيين على الحواجز ونقاط التفتيش، وأن عدد القتلى من المدنيين العراقيين أعلى بكثير من الرقم المعلن.

كما كشفت الوثائق التي حصل عليها الموقع والتي تجاوز عددها ٤٠٠ ألف وثيقة معلومات جديدة عن ضحايا لشركة »بلاك ووتر« من المدنيين، وعن تستر الجيش الأمريكي على التعذيب داخل السجون العراقية بأمر من الإدارة الأمريكية، وأكدت الوثائق السرية أن القوات الأمريكية كانت تحتفظ بتوثيق للقتلى والجرحى العراقيين برغم إنكارها علنياً لكل ذلك، حيث تم الكشف عن توثيق لـ ٢٨٥ ألف ضحية عراقية

بينهم ١٠٩ آلاف قتيل على الأقل، وتعني هذه الأرقام بوضوح أن نسبة القتلى بسبب الحرب الأمريكية على العراق، يصل إلى أربعة أضعاف تلك التي سجلتها الحرب الأمريكية في أفغانستان، وأن بقية الخسائر تصل إلى ستة أضعاف في سياق المقارنة نفسها.

وأظهرت الوثائق أن قرابة ٦٣٪ من القتلى هم من المدنيين؛ أي: أنهم يشكلون ثلثي مجموع القتلى، وكشفت تحليلات الوثائق ارتفاع معدلات القتلى في العراق شهراً بعد شهر منذ اليوم الأول للغزو الأمريكي، وبحسب موقع إحصاء الضحايا العراقيين فإن عدد القتلى من المدنيين وصل إلى ١١٠ آلاف قتيل منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق، لكن مع نشر وثائق «ويكيليكس» بات يتعين على الموقع رفع أرقامه بنسبة ٥٠٪، إذ إن العدد الحقيقي وصل إلى ١٥٠ ألف مدني دفعوا حياتهم جراء الغزو الأمريكي، حيث شكل المدنيون العراقيون فريسة سهلة على الدوام لكل مصادر النيران الأمريكية، علماً أن الإدارة الأمريكية لم تكلف نفسها عناء الإحصاء الممنهج للقتلى الذين سقطوا بنيران قواتها.

وفضحت الوثائق كذب الرواية الأمريكية المعلنة على صعيد الحواجز ونقاط التفتيش، حيث تظهر عدداً كبيراً من العراقيين قضوا عند هذه النقاط أو بهجمات جوية أمريكية مباشرة، حيث اعتادت الطائرات الأمريكية استهداف ما تسميهم »مشتبهاً فيهم« على أنهم مقاتلون مناوئون لها، وكثيراً ما كانت النتائج مدمرة، ففي مدينة الفلوجة في التاسع من أيلول عام ٢٠٠٥ تقول برقية عسكرية سرية: إن طائرة من طراز (F15)

ألقت قنبلتين (BY 125)على الهدف وإصابته إصابة بالغة، بينما تضمن تقرير أضرار ساحة المعركة الذي أعدته «أصابع الإدارة الأمريكية» أنها غير معروفة، وأنه لم يسجل وقوع أي إصابات، وكشفت الوثائق أن قوة جوية غير خاضعة للمساءلة كانت تحوم في سماء العراق، وتصب حمم قنابلها، فتتسبب في نشر الموت في أرجاء البلاد بعد عشرات الطلعات يومياً مؤكدة وقوع ١٤ ألف حادثة في كل العراق، معظمها شهد مقتل مدنيين عراقيين، وكان لفضائح »معتقل أبو غريب« دوي في العالم على المستويين الشعبي والرسمي، أحدث لطخة سوداء في التاريخ الأمريكي على كل المستويات، فيما حاولت الإدارة الأمريكية التملص من الفضيحة بذرائع زادت من حدة الانتقادات الموجهة لها حيال هذا الأمر، فقد كشفت الوثائق أمراً عسكرياً صدر في نيسان عام (٢٠٠٥) أمر من خلاله العسكريين الأمريكيين بأن يبلغوا رؤساءهم عن تعذيب العراقيين للعراقيين فقط، ولكن على ألا يتخذوا أي إجراءات أخرى.

الكارثة التي خلفها الغزو الأمريكي للعراق بدأت تنكشف بمرور الوقت فقد ذكرت مصادر صحيَّة محلية ودولية أنه بسبب الغزو الأمريكي، فقد ترك العراقيون وحدهم في مواجهة أراض مسمومة باليورانيوم المنضب، ولا تزال آثار التفجيرات التي نفذتها القوات الأمريكية والبريطانية في العراق قائمة حتى الآن مشيرة إلى أن العراق شهد تزايداً واضحاً في انتشار الأمراض السرطانية والتشوهات الخلقية، وخصوصاً في مدينة الفلوجة التي تشهد أكبر نسبة انتشار لهذه الأمراض والتشوهات

الخلقية، ولاسيما عند الأطفال بسبب استخدام القوات الأمريكية أسلحة محرمة دولياً.

وكانت تقارير عديدة أكدت أن الولايات المتحدة أسقطت كميات ضخمة من الفوسفور الأبيض على مدينة الفلوجة خلال العدوان على المدينة في تشرين الثاني عام (٢٠٠٤)، الأمر الذي أسفر عن مقتل عدد كبير من أهالي الفلوجة مع إصابتهم بحروق هائلة كاشفة أن هذه الهجمات تسببت بتدمير نحو ستين إلى سبعين بالمئة من المنازل والمباني بشكل كامل، وأسفرت عن سقوط الكثير من الضحايا، بينما أكدت إحصاءات طبية ارتفاع نسبة التشوهات الخلقية لدى الأطفال المولودين حديثاً بنسبة ٦٠٪ منذ عام (٢٠٠٣) مع توقعات بتزايد هذه الظاهرة وتفاقمها.

وبلغ عدد النازحين أكثر من (٢,٨) مليون عراقي ما زالوا مهجرين من ديارهم، ويعيشون في ظروف بائسة، هائمين على وجوههم في مشارق الأرض ومغاربها، متأبطين البؤس والمذلة والعوز على أعتاب سفارات أمم الدنيا، بينما علقت قصص المئات والآلاف من العراقيات اللواتي دفعهن الفقر والعوز للانزلاق في المحظور على مناشير الإعلام الأصفر، وصرن عامل جذب لآلاف المتابعين والمتطفلين العابثين.

ومنذ لحظة إعلان سقوط بغداد في (٩ نيسان ٢٠٠٣)، بدأت عمليات سلب ونهب واسعة النطاق في بغداد وبعض المدن الأخرى، نقلت إلى العالم بأسره عبر شارات التلفاز، حيث قام الجيش الأمريكي بحماية مباني وزارتي النفط والداخلية فقط، ومن ضمنها المخابرات العراقية،

بينما بقيت المؤسسات الأخرى كالبنوك ومشاجب الأسلحة والمنشآت النووية والمستشفيات والمتاحف والأماكن الأثرية حلالاً للقاصي والداني ولعملاء كل المؤسسات الغربية الانتهازية والإسرائيلية التي اقتنصت بغطاء أمريكي فاضح آلاف القطع الأثرية التي لا تقدر بثمن، حيث فقد المتحف الوطني العراقي وحده ١٧٠ ألف قطعة أثرية تختزن وتؤرخ الذاكرة العراقية لآلاف السنين، وكذلك سرقة آلاف الأطنان من الذخيرة الحربية من معسكرات الجيش العراقي، وسرقة مركز للأبحاث النووية في (التويثة) التي كانت تحتوي على ١٠٠ طن من اليورانيوم، حيث قامت شاحنات بنقل محتويات هذا المركز إلى جهات مجهولة.

وفي الاقتصاد فبعد مرور عشر سنوات من الغزو الأمريكي للعراق لا يزال الوضع الاقتصادي والسياسي والأمني يعاني من تعقيد شديد، ولا تزال دماء العراقيين في الشوارع، حيث يواجه هذا الاقتصاد الذي نهبه الاحتلال ودمر بناه الأساسية تحديات جمة للخروج من النفق المظلم واسترداد عافيته، إذ يئن تحت أعباء مديونية ضخمة تقدر بنحو ١٣٠ مليار دولار، تكدست على البلاد خلال سنوات الحرب والحصار الطويلة، وقد أدى ذلك إلى تدهور الاقتصاد بشكل حاد ما أثر سلباً بطبيعة الحال على المستوى المعيشي للمواطن العراقي، وأشارت الدراسات إلى أن نحو ٥٠٪ من العراقيين يعيشون الآن في حالة فقر ومنذ الغزو الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ ارتفعت نسبة التضخم ليتراجع مستوى معيشة العراقيين.

obeikandl.com

ومنذ سقوط أول صاروخ في الحرب على العراق هوى الاقتصاد في براثن حالة من الفوضى برغم امتلاك العراق ثالث أكبر احتياطي نفطي وقوة عاملة على درجة عالية من التعليم ووفرة المياه وموارد أخرى ذات قيمة.

ويعتمد الاقتصاد العراقي على النفط، فاقتصاده نفطي في المقام الأول، إلا أن النفط لا يشكل المورد الوحيد، وهو من الدول المؤسسة لمنظمة الأوبك، وبدأت صناعته منذ عام ١٩٢٥ [انتهى التقرير].

وفي (١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ)، الموافق (٢/ ٥/ ٢٠٠٤م)، عرضت القنوات الإخبارية صوراً منقولة عن (قناة CBC الأمريكية) يظهر فيها تعذيب الأسرى العراقيين في »سجن أبو غريب« قرب بغداد، بلغت الغاية في الوحشية والهمجية والظلم وامتهان الكرامة الإنسانية، والتعذيب الذي يؤدي إلى القتل، فظهر في الصورة جندي أمريكي يضع قدمه على المواطن العراقي السجين، وفي صورة أخرى يتبول الجندي الأمريكي على السجين وسط استهزاء الجنود وإظهار الاحتقار، وفي صورة ثالثة ظهر المعتقلون عراة والمجندات يتحسَّسن بعض المواضع من أجسادهم ويتندرن بهم، مما دعا الهيئات العالمية إلى استنكارها وشجبها، وإظهار الاشمئزاز.

هذه هي الكرامة والحرية ومحاربة الإرهاب التي تدعيها أمريكا وحلفاؤها وأولياؤها من العلمانيين والليبراليين المنافقين من بني جلدتنا كهدف لها في غزوها للعراق وبلدان المسلمين!!!

وأما ما فعلته أمريكا وتفعله الآن بمعاونة حلفائها الكفرة في بلاد الأفغان، فلا يقل عما حصل في العراق من قتل وتدمير، وزادت عليه ما تقوم به منذ عدة سنوات من قتل للمسلمين بطائراتها المقاتلة دون طيار، ويرى الصحفي البريطاني (روبرت فيك) تحت عنوان (إرهاب الحرب ضد الإرهاب) أن الغرب بحضارته أصبح مجرم حرب في أفغانستان، أو كما عبر عن ذلك بقوله: (أصبحنا مجرمي حرب منذ قرار حرب أفغانستان وتجييش الجيوش والتحالفات لها قبل إعلان الأدلة والوثائق المُدِينة لهؤلاء أو هؤلاء)[1]، وهذا ما عبر عن معناه وزير العدل الأمريكي السابق (رمزي كلارك) في مقابلته مع قناة الجزيرة القطرية، حيث وصف عمليات القصف الأمريكي على أفغانستان بأنها جرائم حرب بالتأكيد وجرائم ضد الإنسانية وضد السلام[1].

وما مارسته وتمارسه في سجون (جوانتناموا) من تعذيب وإهدار لكرامة الإنسان وحقوقه. وسبحان الله العليم الحكيم العزيز الرحيم الحليم العظيم، الذي يمهل ولا يهمل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]. وها هي بعض حكم الله ﷻ وألطافه تظهر لنا وذلك مما أصاب به الكفرة الغزاة بسبب غزوهم من كوارث اقتصادية واجتماعية، وتعرية لهم أمام العالم بسقوطهم أخلاقياً وعقدياً وإنسانياً وسقوطهم عسكرياً بما يواجهونه من قتل وتدمير من قبل المجاهدين الأبطال، والذي أشعرهم بالإحباط والتورط في معركة لم يحسبوا حسابها، فأخذوا يفكرون بالانسحاب منها.

(١) انظر: (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب) د. محمد السلومي.

ونَقْلَة إلى عدوان اليهود الفجرة على إخواننا المسلمين في فلسطين، ولاسيما ما حصل في غزة من حصار ظالم وتدمير للبيوت على أهلها وقتل للنساء والأطفال، ترينا حقد الكفرة على المسلمين، وحرصهم على إبادتهم وإفساد أديانهم وأموالهم وأعراضهم.

وأعداء المسلمين يتفقون على أن عدوهم الأكبر هو الإسلام وأهله، وإن اختلفوا فيما بينهم، فها هم البوذيون يسومون المسلمين في مانيمار (بورما) سوء العذاب، يقتلون الرجال والنساء والأطفال ويحرقونهم ويهجرونهم من ديارهم، وهؤلاء الهنود الهندوس لا يخفى عدوانهم على المسلمين واحتلال ديارهم في كشمير وجامو، واضطهادهم داخل مدنهم الهندية.

وها هي الحرب الصليبية الفرنسية على دولة مالي لمقاتلة المسلمين، والحيلولة بينهم وبين إقامة دولة إسلامية تحكم بشرع الله تعالى.

وأخيراً هاهم الروس والباطنيون الرافضة في إيران والعراق ولبنان يتحالفون الآن في حرب شرسة على أهل السنة المسلمين في سوريا وبلاد الشام، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ على الهوية. والغرب والشرق يؤيدهم علناً أو سراً. فسبحان الله العظيم ما أحلمه وأحكمه وأرحمه.

ولو أن ديناً أو طائفة تتعرض لما تعرض له الإسلام في تاريخه الطويل من عدوان وكيد ومكر تشترك فيه كل أمم الكفر في الأرض (نصارى ويهود وباطنيون وبوذيون وهندوس ومشركون وشيوعيون وعلمانيون

منافقـون) لمحيـت خارطتـه مـن الوجـود منذ أمـد بعيد. ولكنـه دين الله الإسـلام الذي تكفل الله بحفظه وبقائه وظهـوره على الدين كله ولو كره المشركـون، قـال تعـالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

وفي ختـام الحديث عن الغزو العسـكري الموجه إلى بلدان المسـلمين يجـدر التنبيـه إلى نـوع خطير من الحـرب والغزو بدأ الكفار يسـتخدمونها في بلـدان المسـلمين، وهـو مـا يسـمى (بحـروب الجيـل الرابـع والشرق الأوسـط الجديد)[1]، وهو إصدار جديد من إصدارات الحروب الموجهة إلى المسـلمين، وهذه الحرب تقوم على إثارة الفـوضى الفكرية والأمنية في الدولة المقصودة بالحرب والسـعي لتفتيتها بمواجهات بين أبناء الشـعب الواحد عن طريق دعم طرف دون الآخر، ولاسيما بين الجماعات المختلفة وإذكاء الخـلاف بينهـا وإشـاعة الفـوضى لإجبـار الدولـة عـلى التقسـيم والتشرذم لتصبح دويلات لا حول لها ولا قوة.. دويلات ضعيفة متهالكة لا تسـتطيع أن تحيـا مـن دون وصايتهـا؛ أي: ما معناه أن هـذه الدويلات لن تبلغ سـن الرشد أبداً، وسيسهل تشكيلها والتلاعب بها بحجة حمايتها

(١) وقد سبقها ثلاثة أنواع من الحروب: الحرب الأولى: هي الحرب التقليدية بالجيوش والسلاح، والحرب الثانية: هي الحرب الباردة، والحرب الثالثة: ما يسموه بالحرب على الإرهاب.

obeikandi.com

وإيصالها إلى بر الأمان، في حين أنها تستخدم وتسخر للاقتتال نيابة عنها بعد أن تمزق أوصالها عن طريق زرع الفتن والانشقاقات وإشاعة الفوضى ونشر الأكاذيب والافتراءات، مستخدمة الإعلام الملبس في إثارة الفوضى والغبش في الأفكار وإثارة الشبهات.

ويتم تنفيذ هذه السياسة الماكرة من خلال العملاء المنافقين من أبناء البلد، أو من يزرعه الكفار من أوليائهم داخل البلد، وغالباً ما يكون هؤلاء المنافقون والعملاء من السياسيين وأصحاب الأقلام، ورواد منابر الأعلام، والفنانين والرياضيين والليبراليين، والذين تكون مهمتهم خلق الأزمات وإثارة الشبهات وزعزعة الاستقرار، بحيث يردد وراءهم عامة الناس ما يرفعونه من شعارات فيخربون بيوتهم بأيديهم، وتبقى الدولة المغزوة في فوضى وعدم استقرار تغتنمه الدول الغازية في تمرير ما يريدون من تدخل سافر في شئون البلاد وسيطرة على مقدراتها وتنفيذ لمخططاتها، وذلك بأقل خسارة تنالهم، ودون تدخل عسكري يكلفهم الخسائر في الأرواح والمعدات.

ولو احتاجوا للتدخل العسكري لتم لهم بأقل الخسائر لأنهم يدخلون بلداً مفككاً ضعيفاً قد اختلفت كلمة أهله وأفكارهم وغاياتهم، وهذا وللأسف ما يجري في هذه الأزمنة من حرب يشنها الأعداء على بلدان المسلمين، دون أن تكلفهم هذه الحرب سلاحاً وجنوداً، فهل نعي معشر المسلمين هذا النوع من الحرب، ونسعى لفضحها وتحذير الناس منها وقطع الطريق على أهلها؟

يحـدد أهداف هذه الحـرب أحد المخططـين لها (ماكـس مايوراينج) الأسـتاذ بمعهد الدراسات الإستراتيجية بالجيش الأمريكي وأحد أعمدة المخابـرات العسـكرية السـابقين، فيقـول: (إنهـا إفشـال الدولـة المغزوة وزعزعـة اسـتقرارها، ثم فـرض واقع جديـد يراعي المصالـح الأمريكية عـن طريق السـيطرة على وسـائل الإعـلام ومواقع التواصـل الاجتماعي والغـرض من ذلـك إنهاك وقضـم إرادة الدولة المسـتهدفة ببطئ وثبات؛ لتحقيـق هدفنا النهائي. وهو إرغام العدو على تنفيذ رغباتنا) ويقول: (إن أسـلحتنا في هـذه الحرب الناعمة ليسـت المدافع والدبابـات والطائرات، ولكن قوة المال والقدرات العقلية، وهو أهون علينا وأقل تكلفة، لأن من سينفذها لحسابنا هم مواطنون من الدولة العدو الذين يتولون عنا زعزعة الاستقرار ونشر الفوضى).

وبعد هذا التوصيف السريع لما يتعرض له المسلمون اليوم وقبل اليوم من غـزو وعدوان على بلدانهم، يمكن إجمال أهـداف الكفرة من غزوهم العسكري فيما يلي:

أولاً: إفساد عقائد المسلمين وردهم عن دينهم الذي يحتم على المسلمين عـداوة الكافـر والبراء منـه، قـال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾الآيـة [البقـرة:٢١٧]، وقـال سـبحانه: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ الآيـة [النسـاء:٨٩]، وقـال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ...﴾ [البقرة:١٠٩].

ثانياً: التمكن من أدوات التوجيه في البلدان المحتلة واستخدامها في إفساد أخلاق المسلمين وأعراضهم، ونشر الرذيلة بينهم، وبث الشقاق بينهم.

ثالثاً: اضطهاد المسلمين في البلدان التي احتلوها بقتلهم وسجنهم وتشريدهم ولاسيما رموز المسلمين ومرجعياتهم من الدعاة والعلماء، وذلك لينفردوا بتغريب مجتمعات المسلمين والقضاء على روح الجهاد لديهم.

رابعاً: الاستيلاء على خيرات المسلمين والتحكم في مقدراتهم واقتصادهم وثرواتهم.

خامساً: استخدام البلدان التي احتلوها في أن تكون مقراً لقواعدهم العسكرية والاستخباراتية لتوسيع نفوذهم.

سادساً: التمكين لأوليائهم في تلك البلدان من المنافقين والعملاء من بني جلدتنا وتسليمهم مقاليد الأمور في بلدانهم.

obeikandl.com

المبحث الثاني

الغزو الفكري وإثارة الشبهات على أصول الإسلام وأحكامه

وهذا النوع من الغزو لم يسلم منه بلد من بلدان المسلمين، فهو غزو عام شامل من الأعداء الكفرة لجميع بلدان المسلمين بديل عن الغزو العسكري، كما أن هذا النوع من الغزو لم يختص بزمان دون زمان، فمنذ أشرقت شمس الإسلام على البشرية ببعثة نبينا محمد ﷺ والأعداء ما فتأوا يوجهون سهام شبهاتهم على أهل الإسلام كما حصل هذا من اليهود في زمن الرسول ﷺ وما تلا عصر الخلافة الراشدة من الفتن والبدع والأهواء إلى عصرنا اليوم الذي بلغ فيه هذا النوع من الغزو أوجه وذروة قوته وخطره، وذلك بما يستخدمه الغزاة في هذا الغزو من وسائل إعلامية هائلة لم تمر على البشرية في تاريخها، مما كان له أكبر الأثر في نشر الشبهات وتوجيه معاول الهدم على ثوابت هذا الدين في أصوله وأحكامه، فليس عندهم شيء ثابت ولا أصل لا يتغير، بل ما كان ثابتاً وأصلاً في زمان أو مكان ما قد لا يكون ثابتاً وأصلاً في زمان ومكان آخرين، ولا يستثنون شيئاً من ذلك، ولو كان ذلك في توحيد رب العالمين أو في الأخلاق والقيم التي هي ثابتة في كل الكتب السماوية ودعى إليها كل الأنبياء والرسل.

وهدف هذا الغزو هو إذابة الشعوب الإسلامية وسلخها عن عقيدتها وهويتها وحضارتها؛ لتصبح مسخاً مشوهاً تابعاً ذليلاً لغيرها؛ لأن الكفرة

مـن النصـارى الصليبيين واليهود الفجرة يعلمـون أن العقيدة الصحيحة القائمـة عـلى الولاء والـبراء هي أقوى سـلاح ضدهم، فسـعوا جاهدين لطمسـها وكسر هذا الحاجز المنيع بينهم وبين المسـلمين، واسـتخدموا في ذلـك كل الوسـائل الممكنـة، وسـخروا أولياءهـم من المنافقـين في بلدان المسلمين في تنفيذ ذلك.

يقول الدكتور عبدالسـتار السـعيد: (الغزو الفكري تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية التي يستهين بها كثير من الناس؛ لأنها تمضي بينهـم في صمت ونعومة مع أنهـا حرب ضروس.. لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسـير أو قتيل أو مسـيخ؛ كحرب السلاح أو هي أشد فتكاً)[1].

وذلك أن الغزو العسـكري واحتلال الأرض يثير في الطرف المقابل الحمية والنخوة وروح المقاومة ورد العدوان، في حين أن الغزو عن طريق الفكـر لا يثير شـيئاً من هذا عند كثير مـن الناس؛ لأنه يتـودد إلى النفس، ويدخل إليها من عدة مداخل تناسبها: مداخل الشبهات من دعاوى التقدم والتطور ومسايرة ركب الحضارة والمدنية.. إلخ. أو مداخل الشهوات من حـب الأموال والسـلطة والجاه وحب الظهور، وتحقيـق الرغبات الهابطة مـن الجنـس والـشراب وغيرها مـن ألـوان الفسـاد والانحـراف الخلقي والسـلوكي، وبذلك يسـهل قيـاده، ويضمن تحوله واسـتمراره ذاتياً، من

(١) مجلة البيان العدد (٢٠) عن مقال (وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ) د. محمد ابن صامل السلمي.

obeikandi.com

داخل نفسه، بل قد يصبح داعية لمبادئ العدو وأفكاره، وهذه فتنة من أعظم الفتن، وقد قال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧].

إن الصراع بين المسلمين والكفار دائم ومستمر، وقد جرب عدونا سلاح القوة مراراً، فما أجدى له نفعاً، مما جعل قادتهم يفكرون في وسيلة أخرى وميدان آخر للصراع، ولقد أدركوا أن السر في صلابة المسلمين وتفوقهم هو في إسلامهم؛ ولذا حولوا ميدان الصراع من حرب المسلمين ذاتهم إلى حرب العقيدة الإسلامية، وبهذا تغيرت ملامح المعركة، فلم يعد ميدانها الرئيس الأرض ولكنه الأدمغة والعقول، ولم تعد وسيلتها السيف بل الفكر، ولم تعد جيوشها الأساطيل والفرق العسكرية ولكنها المؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى[1].

ويذهب بعض المفكرين الإسلاميين إلى إطلاق «الاستعمار النفسي» «الاستعمار عن بعد» على هذا النوع من الغزو، يقول الدكتور ماهر عباس جلال: (إن الاستعمار النفسي استعمار جديد يعمد إلى استعمار النفوس والأفئدة بدلاً من استعمار الأرض، وذلك أن السيطرة على النفوس والعقول والأفئدة يعني السيطرة على كل شيء، فتكاد هذه النفوس ألاّ ترى إلا بعينه ولا تسمع إلا بإذنه ولا تفكر إلا بعقله.

(١) انظر: (العلمانية) للدكتور سفر الحوالي (ص٥٣٥).

لقد أدرك هذا الاستعمار أهمية وسائل الإعلام في عصر من يمتلك فيه هذه الوسائل يمتلك العالم، فلا عجب إذن إذا علمنا أن هناك حوالي (١٢٠) وكالة إعلام دولية في العالم منها (٣٠) وكالة أمريكية لها قرابة (٢٠٠) فرع توكيل في العالم العربي، وميزانية هذه الوكالات وحدها تعادل الميزانية المخصصة للتعليم في البلاد العربية، والإعلام الغربي عامة يمثل أكثر من (٩٠٪) من الإعلام العالمي.

سيطرة اليهود على الإعلام الأمريكي:

والجدير بالذكر أن اليهود يسيطرون على الإعلام الأمريكي، سواء فيما يتعلق بالشبكات التليفزيونية، مثل شبكة (CNN)، وشبكة (ABC)، وشبكة (CBS)، أو فيما يتعلق بالصحف؛ حيث يمتلك اليهود أكبر ثلاث مؤسسات صحفية أمريكية مؤثرة هي: (نيويورك تايمز)، و(واشنطن بوست)، وصحيفة (وول ستريت جورنال)، أو فيما يتعلق بالمجلات الأسبوعية؛ حيث يمتلك اليهود أهم هذه المجلات وهي: مجلة (التايم)، ومجلة (نيوزويك)، ومجلة (يو إس نيوز).

وإذا تساءلنا: ما دور وكالات الأنباء العربية والإسلامية في الساحة الإعلامية؟ فالإجابة تبدو مخزية؛ وذلك أن هذه الوكالات العربية والإسلامية تعمل من الداخل لصالح وكالات الأنباء الأجنبية، خاصة الوكالات الخمس الكبرى التي تحتكر الأخبار والمعلومات بنسبة (٨٠٪)، وهي: (رويتر)، و(أسوشيتد برس)، و(يونايتد برس إنتر ناشيونال)،

obeikandl.com

ووكالـة الأنبـاء الفرنسـية، ووكالـة (تاس) الروسـية، ولا تجـد وكالات الأنباء العربية والإسلامية أمامها إلا أن تعتمد عليها)[1].

ذكـر بعض مظاهـر الغزو الفكـري الموجه لعقيـدة التوحيد وأصول الشريعة وأحكامها

أولاً: التهوين من عقيدة الولاء والبراء، وتشويهها وتسليط معاول الهدم عليها.

تقـوم عقيدة الولاء والـبراء على الولاء لله ﷻ بتوحيـده في العبادة لا شريـك له، والولاء لرسـوله ﷺ بتوحيـده من الاتبـاع والتشريع، ومحبته ونصرتـه، والـولاء للمؤمنـين بالنصرة والمحبـة، كما تقوم عـلى ما يقتضي هـذا الولاء من البراءة من الشرك والمشركين والكفر والكافرين، والنفاق والمنافقـين، وبغضهم ومفارقتهم، وهذا هـو حقيقة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهـذا هـو حقيقة دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسـلام- وفي مقدمتهـم خليـلا الرحمـن نبينـا محمـد ﷺ وإبراهيم إمـام الحنفـاء -عليه الصـلاة والسـلام-، والـذي أمرنا الله ﷻ بالاقتـداء به في قوله سـبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ...﴾ الآية [الممتحنة:٤].

ولقـد علم أعداء هذا الدين أن هذه العقيدة هي أصل دين الإسـلام والحاجـز المنيع الـذي يحول بين الكفر وأهله، وبـين اختراقهم لمجتمعات

(١) مجلة البيان العدد (١٦٣).

المسلمين، فما فتأوا يسلطون عليها معاول الهدم والشكوك والشبهات على طول تاريخ المسلمين، ولكنها والحمد لله باءت بالفشل بفضل تمسك المسلمين بهذه العقيدة حتى عصرنا الحاضر، فاشتد هجوم الكفار وغزوهم الفكري لبلاد المسلمين بشتى الوسائل، ولاسيما ما يشهده عصرنا من ثورة إعلامية هائلة سخروها لبث الشبهات ولبس الحق بالباطل، وبدأت تظهر آثار ذلك في مجتمعات المسلمين، وساعدهم في ذلك أناس من أبناء جلدتنا، إما عن جهل، أو خبث، وكره للإسلام وأهله، ومن طروحات هذا الغزو في هدم عقيدة الولاء والبراء ما يلي:

١- **الإنكار على من يتبنى روح الكراهية والبغضاء للكفار**، وأن هذا يتناقض مع روح التسامح الديني والتعايش السلمي الذي هو سمة العصر الحاضر عصر السلام والإخاء بين الناس!! زعموا. بل ذهب أصحاب هذه الدعوات إلى أن ينسى مصطلح الكفر والكافرين، وأن يحذف من قاموس التعامل بين المسلمين وغيرهم، ويستبدل بمصطلح (غير المسلمين) أو (الآخر) لأنها مصطلحات حضارية، بينما مصطلح الكفار وبغضهم والبراءة منهم إنما هي علم على المتطرفين الأصوليين من المسلمين!! ولست في هذا المبحث بصدد الرد على هذه الدعوات الباطلة، فمحل ذلك سيأتي -إن شاء الله تعالى- في فصل قادم، ولكن المراد هنا عرض شبهاتهم وطروحاتهم المتهافتة الباطلة.

٢- **استخدام معول (الوطنية) (والقومية) لهدم عقيدة الولاء والبراء** القائمة على أساس التوحيد وعبادة الله ﷻ وحده. وجعلهم الوطن

obeikandl.com

الواحـد والجنـس الواحد هو أسـاس الحـب والنـصرة، وإن اختلف أهل هذا البلد في العقيدة، حيث تحل رابطة الوطن والقوم محل عقيدة التوحيـد المسـتلزمة؛ لأن يكون عقد الولاء والبراء على أساسـها بين أبناء المجتمع المسـلم، بينـما هم يريدون أن يجعلـوا الانتماء إلى الوطن الواحـد هو معيار الولاء والمحبة والنصرة لكل من يعيش تحت مظلة الوطـن الواحـد، ولو كان مشركاً وثنيـاً، أو منافقاً زنديقـاً أو رافضياً باطنيـاً، وجعله المكرم المقدم على مـن ليس من أبناء الوطن، ولو كان مسلماً صالحاً تقياً.

وقد اسـتخدم الغـزاة وسـائل مختلفة لتشـويه عقيدة الـولاء والبراء بمفهوم الوطنية والقومية، واستخدموا أولياءهم من المنافقين في كل بلد؛ لتكريـس هذه الأفكار، ولاسـيما من بأيديهم وسـائل التوجيـه في التعليم والإعلام، بل إن بعض السـذج من المسـلمين قد ساهم بلسانه أو قلمه في تكريس هذا الانحراف، فكثرت الكتابة عن المواطنة في الإسلام، والمواطنة عند رسـول الله ﷺ، وأن المواطنة مبدأ إسـلامي أصيـل، وحتى يظهر لنا الخطـر الكامن في مفهـوم (الوطنية) وأثرها في عقيدة الولاء والبراء، أنقل بعض ما كتبه د. أحمد محمود السـيد عـن (فقه المواطنة وأصولها الغربية في الجاهليـة المعاصرة) حيث يقول: (يعرف قاموس المصطلحات السياسـية «المواطنة» بأنها: مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شـخص طبيعي، وبين مجتمع سـياسي (الدولـة)، ومن خلال هـذه العلاقة يقـدم الطرف الأول الـولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الشـخص

obeikandl.com

والدولة بالمساواة أمام القانون (الوضعي) في ظل هيمنة الدولة القومية.

والمواطنة كمفردة من مفردات النظام السياسي الغربي -الذي انتشر في أوربا، ومنها إلى أمريكا ثم بقية أنحاء العالم بعد ذلك- ترتكز على مجموعة عناصر أساسية أهمها:

١- إحلال عبادة الوطن وتقديمها على عبادة الله وحده.

٢- إعلاء وتقديم الولاء للدولة على أي ولاء آخر حتى ولو كان الدين.

٣- إحلال الرابطة القومية محل الرابطة الدينية كأساس لتجانس الجماعة السياسية.

٤- تحويل الفرد من مقولة دينية إلى مقولة سياسية.

٥- فصل العلاقة السياسية عن العلاقة الدينية.

٦- صبغ الوجود الديني بطابع النسبية والذاتية.

٧- رفض تدخل رجال الدين في كل ما له صلة بالسلطة الزمنية.

٨- إطلاق التسامح الديني، وحرية الاعتقاد طالما أنه لن يتدخل في شؤون الحكم.

٩- الحرية هي القيمة العليا التي تعلو على سائر القيم بما فيه حرية الارتداد عن الدين..)[1].

وموضع الرد على دعاة الوطنية في فصل قادم -إن شاء الله تعالى-.

(١) نقلًا عن موقع (أنا مسلم) باختصار وتصرف يسير.

obeikandi.com

٣- **الدعـوة إلى (الإنسـانية)** والدعوة إلى الإنسـانية دعـوة خبيثة غرضها هـدم عقيـدة الولاء والـبراء على أسـاس التوحيد، وذلـك بأن يكون الإخاء والمحبة هي السـائدة بين بني البشرية والإنسـانية بغض النظر عـن معتقداتهـم ونحلهـم. يصف الأسـتاذ محمد قطـب -حفظه الله تعالى- هذه النحلة بقوله:

(الإنسـانية -أو العالمية كما يدعونها أحيانـاً- دعوى براقة، تظهر بين الحـين والحين، ثم تختفي لتعـود من جديد! يا أخي! كن إنسـاني النزعة.. وجـه قلبـك ومشـاعرك للإنسـانية جمعـاء.. دع الديـن جانبـاً فهـو أمـر شـخصي.. علاقة خاصة بين العبد والرب محلهـا القلب.. لكن لا تجعلها تشكل مشاعرك وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين.. فإنه لا ينبغي للدين أن يفرق بين البشر.. بين الإخوة في الإنسانية! تعال نصنع الخـير لكل البشرية غير ناظرين إلى جنس أو لون أو وطن أو دين! دعوى براقـة كما ترى.. يخيل إليك حين تسـتمع إليها أنهـا تدعوك للارتفاع فوق كل الحواجـز التي تفرق بـين البشر على وجه الأرض. تدعوك لترفرف في عـالم النـور.. تدعوك لتكون كبير القلب، واسـع الأفق، كريم المشـاعر.. تنظر بعين إنسـانية - وتفكر بفكر عالمي، وتعطي من نفسـك الرحبة لكل البشر على السواء، بدافع الحب الإنساني الكبير!

إن أناساً قد يخدعون بدعوى الإنسانية لما فيها من بريق، فيؤمنون بها أو يدعـون إليها غافلين عن الحقيقـة التي تنطوي عليها. وقد لا يصدقون

أصلاً أنها دعوى إلى التحلل من الدين يبثها الشياطين في الأرض لأمر يراد..)[1].

وسيرد الرد على هذه النحلة في فصل قادم -إن شاء الله تعالى- ولكن يبقى علينا معرفة بعض أهداف هذه الدعوة الخبيثة؛ ليتضح لنا خطرها على عقيدة التوحيد وأهلها. ومن هذه الأهداف والأخطار ما يلي:

١- الخطر على عقيدة التوحيد التي صلبها الولاء لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين والبراءة والبغض للشرك والمشركين، ونتيجة هذا الخطر التهوين من الكفر وأهله والكف عن ذكرهم بسوء في عقيدتهم وأفكارهم، والمساواة بين المسلم الموحد والكافر الملحد.

٢- إعادة النظر في مناهج التعليم والإعلام في بلدان المسلمين، وحذف كل ما يشير إلى عداوة الكافر ومجاهدته في سبيل الله ﷻ ، وقد بدأ هذا بالفعل في كثير من بلدان المسلمين.

٣- المطالبة بفتح الكنائس والمعابد الوثنية في بلدان المسلمين، ولاسيما في جزيرة العرب.

٤- هذه الدعوة طريق يمهد إلى تطبيع العلاقات مع اليهود والاعتراف بدولتهم على تراب فلسطين.

٥- فتح المجال للتنصير في بلدان المسلمين أسوة بالمراكز الإسلامية في ديار الكفار.

٦- حرية التدين وتغيير الدين وحرية الرأي والتفكير ولو كان بالإلحاد وسب الدين، وهذا مما يفرح به الزنادقة من الليبراليين

(١) «مذاهب فكرية معاصرة» (ص٥١٠).

والعلمانيين، ويغتنموه في مزيد من الإفساد وبث الشبهات والشهوات.

٧- محاصرة التوجه السلفي المستعصي على هذه الأطروحات المضللة، والتمسك بأصول السلف وعقيدتهم في التوحيد والموالاة والمعاداة عليها، ورميه بشتى التهم والسعي لاحتوائه بالترغيب أو الترهيب، وإن لم يجد ذلك فبالتصفية والزج بأهله في غياهب السجون.

٨- إلغاء شعيرة الجهاد لأنها تذكي الكراهية والعداوة بين بني الإنسان.

٤- الدعوة إلى حوار الأديان وتقاربها ووحدتها، وهذه الدعوة من ضمن المعاول التي يسعى إليها الكفرة والمنافقون وبعض جهلة المسلمين في هدم عقيدة الولاء والبراء القائمة على توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له. وإن هذه الدعوة اليوم تطرح بقوة وكثافة أكثر من أي وقت مضى، حيث تعقد لها الندوات والمؤتمرات ويتولى الإعلام الماكر بشتى وسائله الدعوة إليها، وتزيينها للناس بشبهات باطلة من زخرف القول، تكاد أن تنطلي بتلبيسها على كثير من جهلة المسلمين، فيا لها من غربة ما أشدها على الدين وأهله، وذلك حين تصبح أصول الدين وشعائره عرضة للجهل وإفساد المفسدين وشبهات الملبسين وتشكيك المشككين، إذ كيف تطرح هذه الدعوة الباطلة: دعوة التقارب بين ملة التوحيد التي هي ملة الرسل جميعاً، وبين ملة الشرك من الأوثان والأنداد. إنهما لا يلتقيان ولا يتحدان ولا يتقاربان أبداً، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ

﴿أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦]، وقال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩]، وللكفرة في طرحهم هذه الدعوة الماكرة أهداف خطيرة، يشاركهم فيها المنافقون من بني جلدتنا، وقد يجهلها كثير من ببغاوات المسلمين، ومن هذه الأهداف:

١- باعث الصد عن سبيل الله ﷻ وبخاصة دين الإسلام الذي رأى الغرب أبناءه يدخلون في الإسلام زرافات ووحداناً، فأرادوا التلبيس على شعوبهم بأن الفروق بين الأديان فروق شكلية، كلها تؤدي إلى عبادة رب واحد فلا حاجة للتغيير.

٢- باعث هدم أصول الدين الإسلامي وثوابته، وبخاصة أصل الولاء والبراء الذي يقتضي تكفير الكافر وبغضه والبراءة منه ومن كفره، وهذا غاية ما يسعون إليه في هذه الدعوات الماكرة، وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي استيقظ فيها المسلمون، ورأوا صوراً صارخة من عداء الكفار وعدوانهم وحقدهم على الإسلام وأهله.

٣- باعث التنصير حيث طرح مجلس الكنائس العالمي أن الحوار وسيلة مفيدة للتنصير؛ لأنه وسيلة لكشف معتقدات وحاجيات الآخر، وهي نقطة البداية الشرعية للتنصير.

obeikandl.com

٤- إسقاط جوهر الإسلام واستعلاؤه وظهوره وتميزه بجعل دين الإسلام المحكم المحفوظ من التحريف والتبديل في مرتبة متساوية مع غيره من كل دين محرف ممسوخ، بل مع العقائد الوثنية الأخرى.

٥- الاعتراف بأديانهم واحترام عقائدهم، وتجنب البحث في المسائل العقدية الفاصلة للحفاظ على استمرار الحوار.

٦- الدعوة إلى نسيان الماضي التاريخي والتخلص من آثاره، كالذي حصل من الصليبيين في حروبهم الصليبية، وما قاموا به من ظلم وتقتيل وتشريد للمسلمين. والدعوة إلى فتح صفحة جديدة بين الأديان يسودها السلام والعدل والتسامح بزعمهم. ولا يخفى على اللبيب خبث هذه الدعوة وما وراءها، ولكنها لا تنطلي على المسلم الواعي لعقيدته الواعي لتاريخه الواعي لواقعه المعاصر الذي يمارس فيه هؤلاء الكفار الذين يدعوننا إلى الحوار شتى صور القتل والتعذيب والتشريد في بلدان المسلمين، ويكفينا ما يدور الآن في العراق وأفغانستان وفلسطين والصومال من الغرب الصليبي اليهودي الذي تتولى كبره أمريكا الطاغية الكافرة.

وسيأتي الرد على هذه الدعوة في فصل قادم -إن شاء الله تعالى-.

٥- **الدعوة إلى التسامح الديني ونبذ التعصب**: وهذه من حججهم الباطلة التي ينادي بها أهل المكر من الكفرة والمنافقين؛ ليمرروا دعوتهم إلى الإنسانية وتقارب الأديان، وهدم عقيدة الولاء والبراء. إن الذين

obeikandl.com

يحاولون تمييع المفاصلة بين المسلمين والكفار بحجة التسامح الديني يخطئون في فهم دين الله الحق، وفهم الأديان المخالفة. كما يخطئون في فهم المعنى الصحيح للتسامح في الإسلام، فهم يفهمونه بفهم الغرب الكافر وأتباعهم من المنافقين، حيث يريد الأعداء الكفرة أن يتسامح المسلمون بتركهم عداوة وبغض الكافر، وأن يتقبلوا العدوان عليهم؟؟ واحتلال ديارهم، وأن يستسلموا للأعداء، أما العدو الكافر فلا حسيب على عدوانه وحقده وكرهه للمسلمين؛ لأنه جاء -بزعمه- لنشر الحرية والعدل والديمقراطية والسلام!!! ومع ذلك نرى من بني جلدتنا من يردد مثل هذه الادعاءات، ولا ندري هل هذا جهل منهم أو خبث وسوء طوية؟

وسيأتي مناقشة هذه الدعوة الباطلة والرد عليها في فصل قادم -إن شاء الله تعالى-.

٦- محاربة التوجه السلفي ومحاولة استبداله بمناهج وأفكار أخرى مناوئة له كالصوفية. يجلي الأستاذ أحمد فهمي خطط هذا الاستبدال بقوله:

(يقوم مفهوم الاستبدال على قيام جهات الضغط الغربية -بطرق غير مباشرة غالباً- بتحفيز وتشجيع تيارات ومناهج أخرى؛ لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي في الدول الإسلامية، وتتركز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين.

وانبعاث هذه الفكرة -التبديل بين أنماط التدين- في العقلية الغربية وتناميها لدرجة القناعة، يدل على تطور خطير في نظرتهم وتفسيرهم

للسلوك الديني للمسلمين، وقد كانت الفكرة القديمة تنحصر في تجفيف منابع التدين واستبدال الدين بأفكار علمانية براقة، ولكن مع فشل هذه الفكرة، بدأ الكثيرون ينتقلون إلى مرحلة لاحقة، وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن فلنقدم لهم نحن (التوليفة) المناسبة للتدين.

وتكمن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم في أنهم يقودون الناس في قطار سريع يصلهم مباشرة بين الواقع ومصادر التشريع، أما غيرهم من التيارات فيأخذون الناس في جولة سياحية تطول وتقصر بحسب المنهج، وأحياناً تتحول الرحلة بمجردها إلى هدف منشود.

والعناصر الرئيسة المتضمنة لـ (توليفة) التدين الأمريكية:

١- رموز ودعاة مستقلون يقدمون نمطاً متطرفاً في تسامحه واعتداله؛ ليبرز النمط السلفي للتدين على أنه متطرف في فهمه وتمسكه بتعاليم الإسلام.

٢- غطاء وحاجز سياسي توفره التيارات السياسية التي تنظر للتيارات السلفية على أنها معوق لتقدمها السياسي كما أنها على استعداد لتقديم تنازلات دينية في سبيل تحقيق مكاسب سياسية.

٣- الربط الوثيق بين السلفية العلمية والدعوية وبين السلفية الجهادية، بحيث يصبح الجميع منهجاً واحداً متعدد المراحل أو المستويات.

٤- إفساح المجال في عدد من البلدان الإسلامية لدعاة التصوف، وخاصة الذين طوروا خطابهم في مرحلة ما بعد (١١ سبتمبر)،

oberkandi.com

والذي يقفزون فيه على كل ما يثير الغرب في الإسلام، ويقدمون صياغة جديدة قابلة للتسويق في الثقافة الغربية. ونقدم تفصيلاً أكثر لعنصري دعاة الاعتدال والمتصوفة الجدد:

الأول: دعاة الاعتدال

وقد بدأ نجمهم في البزوغ في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد (١١ سبتمبر)، وأهم صفتين تمثلان جواز المرور لهذه الفئة من الدعاة أنهم يتجاوزون نقاط الاختلاف الساخنة مع الغرب، ويقفزون على قضايا الولاء والبراء والقضايا العقدية إجمالاً، كما أنهم لا يرتبطون غالباً بأي انتماءات لجماعات إسلامية عليها علامات استفهام غربية.

الثاني: المتصوفة الجدد

ونحتاج إلى بعض التفصيل لهذا العنصر نظراً لأهميته وخطورته على الدين الحق، وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أن السياسة الأمريكية باتت تنظر إلى الصوفية «المعدلة» على أنها يمكن أن تمثل بديلاً مناسباً للتدين لدى عامة المسلمين، ونذكر فيما يلي بعض هذه الدلائل:

* في عام (٢٠٠٣م) عقد مركز نيكسون للدراسات في واشنطن مؤتمراً عنوانه «فهم الصوفية والدور الذي ستلعبه السياسة الأمريكية»، وكان من أبرز الحضور الدكتور برنارد لويس، وهو من أبرز الناقمين على الإسلام، والدكتور كوركوت أوزال شقيق الرئيس التركي الأسبق تورجوت أوزال، ومحمد هشام قباني رئيس المجلس الإسلامي الأمريكي.

* ووزع في المؤتمر دراسة بيانية توضح الجماعات والمذاهب الإسلامية والمنتمين إليها، وجاء فيها أن مجموعة السلفية هم الذين ينتمون إلى مدرسة ابن تيمية، وأطلقوا عليها (مجموعة الإسلام السياسي)، ووضعوها داخل دائرة حمراء، واعتبروا من بينها: الوهابية -الجماعات الفلسطينية الإسلامية- الجماعات الإسلامية السلفية، جماعة التبليغ، حزب التحرير.

* يعد المجلس الإسلامي الأمريكي الصوفي الذي أسسه هشام قباني مصدراً مهماً للمعلومات لدى الإدارة الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، وكان بول وولفويتز مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق يعقد لقاءات دورية مع أعضاء المجلس للتشاور معهم حول قضايا الإرهاب الإسلامي»[1].

٧- **إثارة الشبهات التي تدعو إلى الشرك الأكبر والسحر والتنجيم في كثير من الكتب والمجلات والمواقع والقنوات الفضائية.**

٨- **إغراق أسواق المسلمين بأنواع من الأثاث والملابس والأدوات التي تحمل شعارات الكفار**؛ كالصليب، وعبدة الشيطان، وصور الفنانين والرياضيين الكفرة، يحملها أبناء المسلمين على ظهورهم وصدورهم من غير نكير.

ثانياً: إثارة الشبهات حول شعيرة الجهاد في سبيل الله ﷻ وتشويه صورته وأهله

لم يقض مضاجع المشركين والكفار والمنافقين شيء أشد عليهم من شعيرة الجهاد عند المسلمين، ولذلك ما فتأوا في قديم الزمان وحديثه

(١) موقع المختصر باختصار.

يثيرون عليه الشبهات، ويسلطون عليه معاول هدمهم محاولة منهم في إلغائه والتنفير منه، وهيهات لهم هيهات. فمع كل المحاولات التي بذلها المستشرقون في الغرب الكافر والشرق الملحد إلا أنها باءت بالفشل، وما زاد المسلمون إلا حباً لهذه الشعيرة ورفعاً لرايتها، دفاعاً عن الدين والنفس والمال والعرض، ونشراً للتوحيد والأمن والخير في البشرية التي تعاني من ويلات الكفر وظلماته ومظالمه.

ولقد زاد سعار الكفار واشتد حربهم لهذه الشعيرة في واقعنا المعاصر، حيث يقظة المسلمين وصحوتهم ورفعهم لراية الجهاد في صد عدوان الغزاة الكافرين.

ومن شبهاتهم التي يطرحونها وصفهم للجهاد بأنه حرب مقدسة عند المسلمين، هدفها سفك الدماء وقتل الأبرياء وإرهاب النفس وإرعابهم، وسلب أموال الناس وخيراتهم. ولذلك فهم يطرحون الدعوات السابق ذكرها كالدعوة إلى التسامح والتعايش السلمي والدعوة إلى تقارب الأديان وإلى الإنسانية التي تجمع الناس وتنشر بينهم السلام والإخاء والأمان.

يقول محمد قطب -حفظه الله تعالى-: (إن أشد ما يخشاه أعداء الإسلام من الإسلام هو روح الجهاد الكامنة فيه، «ودعوى الإنسانية» من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهاد عند المسلمين.

يا أخي! لقد تغيرت الدنيا! لا تتكلم عن الجهاد! أو إن كنت لابد فاعلاً فتكلم عن الجهاد الدفاعي فحسب! ولا تتكلم عنه إلا في أضيق الحدود! فهذا الذي يتناسب اليوم مع «الإنسانية المتحضرة»! لقد كانت

للجهاد ظروف تاريخية وانقضت! أما اليوم فقد أصبحت الإنسانية أسرة واحدة! وهناك قانون دولي وهيئات دولية، تنظر في حقك، وتحل قضاياك بالطرق «الدبلوماسية»! فإذا فشلت تلك الهيئات في رد حقك المغتصب، فعندئذ لك أن تقاتل دون حقك ولكن لا تسمه جهاداً!.. فالجهاد قد مضى وقته! وإنما سمه دفاعاً عن حقوقك المشروعة!!

أما نشر الدعوة فإياك أن تتحدث فيه عن الجهاد! هناك اليوم وسائل «إنسانية» لنشر الدعوى فاسلكها إن شئت.. هناك الكتاب والمذياع والتلفاز والمحاضرة والدروس.. إياك أن تتحدث عن الجهاد فتكون مضغة في أفواه المتحضرين)[1].

ومع ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من بيان كافٍ لهذه الشعيرة العظمية، وعظيم فضلها وأثرها وأهدافها، إلا أن قوماً من بني جلدتنا إما عن خبث وكيد، أو عن جهل وغفلة واجهوا هذه الحملة الاستشراقية الصليبية بمواقف انهزامية فراحوا يدافعون عن الإسلام وكأنه في قفص الاتهام، فقالوا: إن غاية الجهاد في الإسلام دفاعية فحسب، وليس للإسلام رغبة في قتال الكفار، لولا أنهم بدأوا بقتال المسلمين، وليس من هدف الجهاد نشر الإسلام وإخضاع البلدان الكافرة لحكم الإسلام، فانطلت شبهات الكفرة عليهم، بل ذهب بعضهم ولاسيما من المنافقين خبثاء الطوية إلى تعطيل جهاد الدفع، وزعموا أنه جهاد فتنة، وأن من ذهب ليجاهد بنفسه دفاعاً عن المسلمين الذين احتلت ديارهم إنما هو متهور مفتون!!

(١) «مذاهب فكرية معاصرة» (ص٥١٢) وما بعدها (باختصار).

وللرد على شبهات المشبهة حول الجهاد وأهدافه موطن آخر في فصل قادم -إن شاء الله تعالى-.

ثالثاً: تشويههم للتاريخ الإسلامي على أيدي المستشرقين والمنافقين من الباطنيين والعلمانيين

يصف الدكتور محمد بن صامل السلمي ما تعرض له التاريخ الإسلامي من الغزو الفكري والتشويه، فيقول:

(لقد تعرض التاريخ الإسلامي لأكبر قدر من **الغزو الفكري**، وركز الأعداء على تشويه تاريخ الأمة الإسلامية، ذلك أن التاريخ -بالنسبة لأي أمة- هو مجال اعتزازها وموطن القدوة فيها. فإذا كان تاريخ الأمة حافلاً بالأمجاد -كما هو واقع تاريخ المسلمين- فإنه بلا شك سيكون باعثاً لهم على النهوض والتمسك بالمبادئ والآداب والقيم التي جعلت الأجداد يحرزون هذا المجد والفخار، ويصلون إلى هذا المستوى الراقي في بناء الأمة والحضارة، ويبحثون عن السر الذي رفعهم إلى هذا المستوى، وأنه إيمانهم بالله وتمسكهم بدينهم وجهادهم في سبيل الله ومن ثم يسعون جاهدين لانتشال أنفسهم من الموضع المتردي الذي وصلوا إليه، وأمامهم الصورة الجلية. والقدوة الممتازة في شخص رسولنا ﷺ الذي أخرج الله به الأمة من الظلمات إلى النور، ومن الشرك والأهواء وتحكم الطواغيت إلى التوحيد والعدل والأمن والطمأنينة، ومن الفقر وضيق الحال والشتات إلى الغنى وسعة الدنيا والآخرة والاعتصام بحبل الله، وكذا أصحابه رضي الله عنهم

الذيـن حملـوا الرايـة وآزروه ونصروه، وأيضـاً بقية الأجيال من السـلف الصالح من العلماء والزعماء والقادة والمصلحين والدعاة إلى الحق.

والنـماذج الممتـازة في التاريخ الصالحة للقدوة ليسـت أفـراداً يمكن حصرهـم، ولكنهـم أجيـال وأجيال، في مجـالات الحياة كافة، العسـكرية والسياسية والتربوية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وهذا لا يوجد في تاريخ أي أمة أخرى لما لهذه الأمة من خاصية الاستمساك بالمنهج الرباني.

والتاريخ الإسـلامي هو الذي يسجل هذه الصور السامقة ويوضح دور الأمـة وأثرهـا وفضلهـا عـلى البشرية، ولذلـك لا نسـتغرب إذا ركز الأعـداء في غزوهـم الفكري على التاريخ الإسـلامي حتـى ناله كثير من التشـويه والتحريـف والتجهيـل والتزييـف والتفسـير الخاطـئ لأحداثه ومزاحمتـه بتواريخ الأمم الجاهلية، حتى يبـدو حلقة صغيرة أو كماً مهملاً في تاريخ البشرية.

ولقـد قام على تشـويه التاريخ الإسـلامي في العـصر الحديث جيش بل جيوش من الاسـتشراق والتنصير ودوائر البحث ومكاتب المخابرات في الـدول الغربيـة، واسـتطاعوا أن يجنـدوا مجموعة من ضعـاف النفوس والمغروريـن والجهلـة وضحايـا **الغـزو الفكـري** في العـالم الإسـلامي؛ لمساعدتهم ونشر أفكارهم بين المسلمين.

ونذكر فيما يلي بعض الوسائل التي استخدموها:

١ - اختلاق الأخبار وإبراز المثالب:

وهذه أولى الوسائل التي استخدمها المستشرقون والمنصرون لتشويه صورة الحياة الإسلامية، وعقيدة المسلمين وسيرة رسولهم ﷺ، حتى ينفّروا أبناء جلدتهم من الدين الإسلامي، ويصورون المسلمين بأنهم وحوش وسفاكو دماء، وأنهم يعيشون حياة تخلف وهمجية، ويضعون قصصاً وحكايات تؤيد ما يقولون، كما أنهم يسعون إلى تسقط الأخطاء وجمع المثالب وإبرازها على أنها الصورة المعبرة عن تاريخ المسلمين، وهذه الوسيلة كانت غالبة على الكتابات الأولى للمستشرقين الذين كتبوا عن الدين الإسلامي وعلومه وسيرة النبي ﷺ وتاريخ المسلمين، سواء كانت مؤلفات أو مقالات في المجلات التي أنشأها المستشرقون في مختلفي الدول الأوربية (هولندا - روسيا - ألمانيا - بريطانيا - فرنسا - أمريكا - إيطاليا) أو في دوائر المعارف العامة.

وقد قل استخدام هذه الوسيلة في الكتابات المؤخرة، لا إنصافاً للحقيقة وإنما تغييراً في الخطة، لأن الوسيلة الأولى لم تعد صالحة ولا مقبولة حتى في المجتمعات الغربية.

ومن اطلع على كتب القوم وما تكتبه المجلات الصادرة عنهم ودوائر المعارف يجد ذلك واضحاً، وهذا مثل واحد من أخف الأمثلة (كارل بروكلمان) - المستشرق الألماني الذي يعد حجة عندهم، بل عند بعض الباحثين المسلمين، ويعدونه من المعتدلين، وقد يبالغ البعض فيعتبره من المنصفين في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية)- ولكن إذا قرأت في هذا

obeikandl.com

الكتاب رأيت العجب العجاب، ورأيت التشويه، بل رأيت الجهل الثقيل ورأيت الكـذب الصريح. يقول في (ص٣١): (الكعبة بناء ذو أربع زوايا يحتضـن في إحداها الحجر الأسـود، ولعله أقدم وثـن عُبد في تلك الديار، وكانـت الكعبة تضم تمثال الإله القمـري هُبَل، بالإضافة إلى الآلهة الثلاثة المعبودة (اللات والعُزى ومناة)».

وقولـه هذا إمـا جهل حقيقـي وإما كـذب وتزويـر، ولا أظنه يجهل موقـع العزى واللات ومناة، وهو يبحث في كتـب الجغرافيا والبلدانيات الإسلامية التي تحدد مواقع تلك الأصنام.

وفي (ص٨٥) وهو يتحدث عن مسيلمة وسجاح يقول: (ففيما كان محمد لا يـزال على قيـد الحياة ظهـر في تلك البلاد رجل اسـمه (مسـلمة) وقد دعاه المسلمون مسيلمة من باب التصغير الذي يقصد به التحقير، وادعى النبوة).

وهذه فرية ما سبقه إليها أحد، ولا ضير أن ينتصر للكذاب المتنبئ؛ لأن الكفر ملة واحدة، ومعلوم عناية العرب بعلم الأنسـاب وبالأسماء وكل ما لدينا من كتب النسـب والتراجم لا تذكره إلا باسم مسيلمة، فمن أين جاء هذا الأفاك بهذا الاسـم؛ وقد جاء خبره واسـمه في »صحيـح البخاري«[1] من قول -الذي لا ينطق عن الهوى- ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**بينـما أنا نائم رأيتُ في يديَّ سـوارين مـن ذهبٍ، فأهمني شـأنهما، فأوحي إليَّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهـما فطارا، فأوَّلتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة**».

(١) البخاري (رقم ٣٦٢١) ومسلم (رقم ٢٢٧٤).

كما أن مسيلمة قد كتب إلى النبي ﷺ كتاباً يقول فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله[1]، فهو أعلم باسمه من هذا المستشرق، ثم إن الاسم -سواء كان مكبراً أو مصغراً- لا يحكي الحقيقة ولا يحكم على الشخص من خلاله، وإنما الحقائق والأحكام من المواقف والإيمان أو الكفر.

والحقيقة أن ما كتبه عن الرسول ﷺ وتشريعات الإسلام وتاريخ الخلفاء الراشدين يمثل قمة السوء والحقد، فقد رمى النبي ﷺ بكل نقيصة...[2].

٢- استخدام المنهج العلماني (اللاديني) في البحث والنقد:

وهذا من أخطر الوسائل وأعظم المنجزات التي حققها دعاة **الغزو الفكري**، وتمكنوا من تقريرها في كثير من جامعات العالم الإسلامي ومراكز البحث العلمي، ولهذا المنهج آثار سيئة على تراث المسلمين ودينهم؛ لأنه قائم على أسس من الفلسفة الوضعية التي تنكر الوحي والنبوات، ولا تقيم وزناً للمنهج الرباني، ومن عجب أن يدعي أصحابه الموضوعية والحياد العلمي، مع كونه غير شرعي وغير علمي، أما كونه غير شرعي فأمر لا يحتاج إلى دليل، أما كونه غير علمي فقد ثبت بالاستقراء والتتبع لما يكتبونه عن التاريخ والثقافة الإسلامية أنه يقوم على الأسس الآتية:

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٥١).

(٢) ولكن أين هم من قوله ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥].

obeikandl.com

أ- العمل على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها مسبقاً حسب أهوائهم، ثم التحكم فيما يرفضون من النصوص المضادة لها بمجرد الهوى، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى تحريف النصوص عندما يعجز عن تفسير النص على ما يريد، وانظر أمثلة هذا عند ولهاوزن، وكيتاني، ولامانس، وجولد تسيهر، وفيليب حتى، وكارل بروكلمان.

ب- الضعف العلمي وقلة الإحاطة بمصادر الثقافة والتراث الإسلامي الأساسية، لذلك تأتي آراؤهم وأحكامهم ناقصة الأدلة الصحيحة من النص أو الاستقراء.

ج- الجهل بمراتب المصادر العلمية أو تجاهل ذلك، ومن هنا يتحكمون في المصادر التي يختارونها، فتجدهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي، وينقلون من كتب التاريخ ما يحكمون به في الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري (مثلاً) في كتاب حياة الحيوان، ويكذبون بما يرويه الإمام مالك في »الموطأ«، ويهاجمون »صحيح البخاري«، ويمجدون كتاب »الأغاني«.

د - فقدان الأمانة العلمية تجاه المباحث الإسلامية...

٣- التفسير الخاطئ والفهم العجيب للنصوص:

وهذا راجع إما للجهل حقيقة -هو أمر غير مستبعد- وخاصة أن جل المستشرقين لا يكادون يدركون معاني الألفاظ العربية ودلالتها،

ولا يحيطـون بكتب العلـم والثقافة الإسـلامية، فيقعـون نتيجة لذلك في أخطـاء فاضحة، وإما تعمداً، وهذا نابع من الحنق على المسـلمين والعداء لهم، وإننا نلحظ هذا التفسـير الخاطئ في كتابات المستشرقين عن كثير من القضايا الإسـلامية مثل الجهاد والرق، ومكانة المرأة في الإسلام، والنظام السـياسي والاقتصادي والاجتماعي والمذاهب والفرق الإسلامية.. إلخ؛ لأن مثـل هـذه القضايـا لا تفسر بنـاء على الوقائـع التاريخيـة وحدها، بل لابـد للكتابـة فيها من معرفة الأحـكام الشرعية وأصول التفسـير والفقه وقواعـد الشريعة، لأن معرفة هـذه الأصول أمر لازم لمن يحلل النصوص التاريخيـة عـن هـذه القضايا ويفسرهـا، وهـذا الجانب من المعرفـة مفتقد -مع الأسـف- عند عامة من كتبوا في التاريخ الإسلامي من المعاصرين، سـواء من المستشرقين أو المتخصصين في التاريخ من أبناء المسلمين، وهذا راجـع إلى الفصـل القائم في كثـير من دور العلم بين الدراسـات الشرعية والدراسات التاريخية.

ومـن المعلـوم أن التاريـخ ليـس هو الحـدث وحده، بل هـو الحدث وتفسـيره والحدث وباعثه، ولاشك أن العقيدة تأخذ جانباً كبيراً في تحديد البواعث والأهداف..

٤- الاعتماد على مجرد الهوى في النقد والتحليل للحوادث التاريخية:

إن نقد الأخبار يخضـع لمقاييس وضوابط علمية قررها العلماء الذين كتبوا في هذه المجالات مثل علماء الأصول وعلماء الجرح والتعديل وعلماء المنطـق، ولابـد من الالتزام بهـذه الأصول في نقد الأخبـار، إذ لا يجوز رد

الأخبار لمجرد عدم قبول الإنسان لها وانشراح نفسه لما تدل عليه أو عدم تذوقه لمثل هذه الأخبار، لأن الحكم بالذوق والهوى وعدم الموافقة الشخصية لا يجوز أن يدخل في ميدان العلم، وإنما هذا بميدان الأدب وما شاكله أليق لخضوعها للعاطفة والتذوق الشخصي، أما الأخبار التاريخية فإنها وقائع عن حقائق، ولابد أن تنقد على أصول نقد الحقائق العلمية، ومن الأمثلة على هذه الوسيلة ما نجده عند كثير من المستشرقين وبعض من تأثر بهم مع ادعائهم مناقشة القضايا بمنطق العقل والعلم، ولكن إذا فتشت في كتبهم وجدت أن ذلك مجرد دعوى لا دليل عليها بل الواقع يناقضها، وأن نقدهم للنصوص والأخبار هو بمجرد الهوى والتذوق والميل الشخصي.

٥- عرض جانب من الحقيقة، ووضع الخبر في غير سياقه الصحيح:

وذلك أن التاريخ إذا عرض جانب منه وأخفي الجانب الآخر، فإنه لا يعطي الصورة كاملة بل يشوهها، وخاصة إذا أخذت الصورة الضعيفة، وجمعت النقاط السود، فمثلاً إذا ركزنا في دراسة التاريخ الإسلامي على عرض جانب الأحداث الداخلية، والحياة السياسية، وقيام الحكام، وسقوطهم، وثورات بعضهم على بعض، وقلنا: إن هذا هو التاريخ الإسلامي فإن الصورة تكون قائمة ومشوهة، لأننا أخذنا أضعف الصور وأشدها قتامة، وقلنا: هذه هي الحقيقة كاملة.

ولو أننا عرضنا مثلاً الجانب الذي ركز عليه صاحب كتاب »الأغاني« وأبرزناه على أنه التاريخ الاجتماعي والخلقي لأعطانا صورة مشوهة

لمجتمع الحجاز، وأنه عاش حقبة من الخمول والانشغال بالملذات الحسية والغناء والطرب وما شابه ذلك.

وهذه النتيجة -مع الأسف- صرح بها وكررها كثير من الباحثين المعاصرين من أمثال أحمد أمين، وطه حسين، وشوقي ضيف.. وغيرهم من مؤرخي الأدب، وألمح إليها الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه »تاريخ الإسلام السياسي« وغيره من المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ هذه الحقبة..

٦- إضعاف دراسة التاريخ الإسلامي ومزاحمته بغيره:

إن من وسائل دعاة **الغزو الفكري** إضعاف دراسة تاريخ الأمة الإسلامية في المدارس والجامعات ومراكز العلم في العالم الإسلامي، ومزاحمته من تواريخ الأمم الكافرة، سواء القديم منها والحديث، مما يضعف شأنه في نفوس الدارسين، حيث يعطى لهم بصورة مختصرة ومشوهة، بينما يفسح المجال لدراسات واسعة في التاريخ القديم، ويربط سكان كل منطقة بتواريخ الأمم الجاهلية التي عاشت فيها، ففي مصر الفرعونية، وفي العراق البابلية والسومرية، وفي بلاد الشام الفينيقية، وفي اليمن السبائية والحميرية، مما يوجد الوطنيات العرقية الضيقة ويفتت الوحدة الإسلامية، ويشتت أوصال التاريخ الإسلامي، بحيث يبدو وكأنه نقطة في بحر أو جدول صغير في نهر.

٧- جعل واقع المسلمين في العصور المتأخرة الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام:

في عرض التاريخ الإسلامي في مثل تلك المراكز يجعل واقع المسلمين المتخلف هو الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام، وهذا تشويه متعمد

obeikandl.com

ومغالطة للحقائق العلمية والواقع والغرض من ذلك تزهيد المسلمين في دينهم والفصل بينهم وبينه، حيث يصورون لهم الدين من خلال درس التاريخ بالصورة المتخلفة التي أنتجها واقع المسلمين المنحرف عن تعاليم الإسلام، ثم يجعلون المسلم بين خيارين: إما أن يصبر على التخلف إذا أراد التمسك بدينه، وإما أن يأخذ سبيل التقدم، لكن عليه أن ينبذ دينه كما نبذت أوربا دينها، ويخفون في دهاء ومكر الخيار الثالث الذي هو البديل الصحيح عن الخيارين السابقين، وهو النهوض بالأمة والرجوع بها إلى مستوى دينها الحق، وبيان أن ما وقعت فيه الأمة من التخلف والانحطاط هو نتيجة طبيعية لتخلفها في عقيدتها وإسلامها، لا نتيجة تمسكها به كما يصور ذلك أعداؤها.. ثم إن هناك فرقاً بين الدين الحق دين الإسلام؛ وبين الخرافة التي كانت عليها أوربا وتسميها ديناً، حقاً إن أوربا لم تتقدم مادياً وعسكرياً وعلمياً، إلا بعد أن نبذت الخرافة وتخلت عنها، وحررت عقلها من آثارها، فإنها لم تكن على دين بل كانت على خرافة. ولاشك أن هذا الأسلوب في عرض المسألة وتصويرها هو من التلبيس المتعمد والتشويه المقصود الذي حاول المستشرقون زرعه في قلوب الناشئة من أبناء العالم الإسلامي.

٨- إبراز دور الفرق الضالة وتضخيمه:

لقد وجد دعاة الفتنة من المستشرقين ومن لف لفهم وسلك طريقهم غايتهم المنشودة في الفرق المنحرفة والخارجة على سبيل السنة، مثل الخوارج، والرافضة، والقرامطة وإخوان الصفا، والمعتزلة، والجهمية،

وأيضاً من الشخصيات الضالة، مثل ابن سبأ، وعبيد الله بن ميمون القداح، والحاكم العبيدي، وصاحب الزنج، والحلاج، وابن عربي، وغيرهم، فنشروا تراثهم، واعتنوا بتاريخهم، وضخموا أدوارهم، وأقاموا المراكز والجمعيات لخدمة ذلك، مع تصويرهم لحركاتهم وإبرازها على أنها حركات إصلاحية ومعارضة للفساد، وهذا كله تزوير للحقائق وإخفاء للأهداف الحقيقية التي تسعى تلك الفرق وأولئك الأشخاص إلى تحقيقها وهي تحطيم الخلافة الإسلامية، وتبديل مفاهيم الدين الصحيحة بمفاهيم باطنية ووضعية، والكفر ملة واحدة والكفار بعضهم أولياء بعض..)[1].

وقد صادف هذا الغزو تشويه التاريخ الإسلامي آذناً مصغية وهوى عند تلاميذه المستشرقين من بني جلدتنا، فسارعوا إلى تبني هذه الأفكار ونشرها، كما أن من أخطر من شوهوا تاريخ هذه الأمة وأبطالها المجاهدين والمصلحين: الرافضة الباطنين الذين دسوا في التاريخ الإسلامي من الكذب والبهتان ما لم يفعله سواهم، وحرفوا القرآن الكريم ولووه؛ ليوافق تفسيراتهم الباطلة وبهتانهم المبين، ووصفوا خيار الأمة من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان بكل وصف قبيح، قاتل الله الرافضة أنى يؤفكون.

رابعًا: إثارة الشبهات حول الشريعة الإسلامية ومحاولة إقصائها عن الحكم والتحاكم

بحجة عدم كفايتها لمصالح الناس المستجدة في عصورنا، والسعي إلى إبدالها بالقوانين الوضعية المخالفة في كثير منها للشرع والعقل والفطرة،

(١) مجلة البيان العدد (٢٠، ٢١) عن مقال: (وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ) (باختصار) د. محمد بن صامل السلمي.

والقيام بنشر المذاهب العلمانية في مجتمعات المسلمين، ومهاجمة العاملين لنشر الدين والجهاد في سبيله والمنادين بالحكم بالشريعة الإسلامية، تارة بوصفهم بالإرهاب وأنهم أصحاب (الإسلام السياسي)، وتارة يتهمونهم على ذلك بمحاولة القفز إلى السلطة بذريعة الدين، وتارة يقولون: إن في الحكم بالشريعة نشرًا للطائفية بين أبناء المجتمع المكون من طوائف ونحل مختلفة، وتارة أخرى يرفضون الحكم بالشريعة وإدخال الإسلام في السياسة بذريعة أن الدين طهر والسياسة تقوم على الكذب والمكر والنفاق، ولذلك ينبغي إبعاد الدين عن هذه القبائح حتى لا يتلوث!!

ومن شبههم أيضاً في رفض الشريعة أن الغرب الكافر لم يتمكن من هذا التقدم والحضارة، وتنظيم أموره السياسية والاجتماعية والإدارية إلا بعد أن تخلص من دين الكهنوت في الكنيسة، وانطلق حراً من قيود الدين فكان لزاماً على من أراد التقدم والتحضر أن لا يربط نفسه بالدين؛ لأن الدين يقيد عن الانطلاق ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

ومع ذلك فقد انطلت هذه الشبهة على بعض ضعفاء العقول والجهلة من أبناء المسلمين فراحوا يرددون مثل هذا الكلام تارة بلسان الحال، وتارة بلسان المقال، وما علم هؤلاء الجهلة أن الذي فرت منه أوربا هو خرافة الكنيسة وكهانها، وما كانوا عليه من الدجل والشعوذة والكفر وابتزاز الناس باسم الدين المحرف المبغوض عند الله ﷻ فكيف يقاس أصحاب الكنيسة والدين المحرف الذين ثارت عليهم أوربا بدين الإسلام النقي

الصافي القائم على توحيد الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، وعلى اتباع ما جاء عن الله ﷻ في القرآن الكريم، المتضمن لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وما جاء به الرسول ﷺ من الشريعة الكاملة من عند الله ﷻ والأخلاق السامقة التي بهرت العدو قبل الصديق، إنه لا يفر من دين الإسلام إلى غيره إلا من سفه نفسه، واتبع هواه بغير هدى من الله ﷻ.

إذ كيف يقاس دين النصارى المحرف الضال القائم على الشرك وإلغاء عقول الناس بهذا الدين القويم المبرء من الهوى والجهل والظلم ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]. إن الحقيقة هي عكس ذلك، وهي أن ما أصاب المسلمين من التأخر والمصائب المتنوعة إنما هو بسبب إعراضهم عن دينهم الحق، وتركهم لشريعة ربهم، وتبعيتهم لأعدائهم الكفرة.

خامساً: إثارة الشبهات حول أحكام المرأة وإفساد الأسرة المسلمة

لم تتعرض شريحة من شرائح المجتمع المسلم لغزو الكفار الفكري والسلوكي، مثل ما تتعرض إليه المرأة المسلمة، والأسرة المؤمنة، لأن الأعداء الكفرة وأذنابهم من المنافقين (من بني جلدتنا) يعلمون أن نواة المجتمع هي الأسرة، والأسرة قائمة على الوالدين، ولاسيما مربية الأجيال المرأة المسلمة، فإذا أفسدوها عقدياً وأخلاقياً فسدت الأسرة، وإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع، وسهل على العدو اختراقه، وجعله تابعاً ذليلاً لمناهجه وأفكاره وسلوكياته.

ومـن أهـم وأخطر ما تتعـرض له المـرأة والأسرة المسـلمة اليوم من الأفكار والمكر الكبار ما يقوم به الكفار وأذنابهم من المنافقين من:

١- إثارة الشـبهات على بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة، سـواء في حجابهـا ولباسـها أو في عملها أو في وضعهـا الأسري والاجتماعي، وتصويرها وكأنها مظلومة مسلوبة الحقوق، والمناداة بما يسمى (تحرير المـرأة وضـمان حقوقهـا) ومسـاواتها بالرجـل، وتتفـاوت منطلقات المثيرين لهذه الشـبهات ما بين معلنٍ عن نفسه وزندقته، وذلك بنقض أحـكام الشريعة المتعلقة بالمرأة، وأنها لا تتواكب مع العصر وتطوراته ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

وآخـرون لا يصرحـون بهـذا المنطلـق الخبيث، ولكنهـم يتهمون علـماء الشريعة بعدم فهـم النصوص المتعلقة بشـئون المرأة والأسرة، ووصفهـم لهم بالتشـدد والتحجـر، ويتعلقون في نشرهم لشـبهاتهم ببعـض التأويلات الفاسـدة أو التعلق ببعـض القواعد الشرعية التي يضعونهـا في غـير موضعهـا ومـن دون ضوابطهـا، إمـا جهـلاً منهم بقواعد الشرع أو خبثاً وفسـاداً في الطوية، وسعياً منهم في جعل المرأة المسلمة محاكية للمرأة الغربية في لباسها وسلوكها واهتماماتها.

٢- غزو الأسرة المسـلمة بقنوات الإفسـاد المختلفة التي يضمنها شياطين الإنس والجن، مواقع مختلفة وقنوات متنوعة تبث الشبهات في بيوت المسـلمين لتغريبها وإبعادها عن العقيدة الصحيحة، بإثارة الشبهات حولها ونشر الرذيلة وإفساد الأخلاق والعلاقات الأسرية بالحوارات

obeikandl.com

المفسدة والفتاوى المأجورة، وتسهيل وصول هذه الأجهزة إلى يد الصغير والكبير والمرأة والرجل دون حسيب ولا رقيب.

٣- تسهيل الابتعاث لأبناء المسلمين وبعضهم في سن المراهقة إلى ديار الغرب الكافر، حيث يتم هناك غسل أدمغتهم وأفكارهم، وتغيير معتقداتهم الشرعية وثوابتهم الأصلية وأخلاقهم التي تربوا عليها، بحيث يكونوا معاول هدم لأسرهم وأبنائهم ومجتمعاتهم إذا رجعوا إليهم.

٤- تسهيل السفر والسياحة لأسر المسلمين إلى بلاد الغرب الكافر الماجن، حيث يتم ترويضهم هناك على الفساد وكسر هيبة المنكر من العري والإباحية وتهوينها في قلوبهم، حتى تتحول إلى صور مألوفة لديهم، فضلاً عما يسمعونه من الشبهات عن دينهم، وما يرجع به بعضهم من انبهار بالحياة الغربية واغترار بها، قد يؤول به إلى احتقار دينه.

٥- غزو الأسر المسلمة بسيل جارف من أنواع الترف والإسراف في المآكل والخدم والمشارب والمساكن والمراكب وأدوات للزينة، حتى تحولت في حياة كثير من الأسر إلى غاية وهدف هو شغلهم الشاغل، يتنافسون فيه، ويكدح أرباب الأسر ليوفروا لبيوتهم وأهليهم هذه المطالب، ولو أدى إلى تراكم الديون على الأسرة وأربابها. ومكمن الخطر في هذا الغزو ما نتج عنه من الترهل المشاهد في حياة أبناء المسلمين ونسائهم وركونهم للدنيا، وكأنهم يخلدون فيها، ونسيانهم للآخرة ودوام نعيمها أو عذابها، وهذا الترهل يقود إلى فتور الهمم والعزائم، وتهيئة البلاد لأي نوع من أنواع الغزو الخارجي دون ممانعة

ولا مقاومة مع ما فيه من إجهاد نفسي ومالي لرب الأسرة، قد ينجم عنه مشكلات أسرية ومجتمعية.

٦- غزو الأسرة المسلمة بشبهات يثيرها أعداء الدين من الكفار والمنافقين حول بعض التشريعات الأسرية في مسائل الطلاق والنكاح وتعدد الزوجات والميراث والشهادة، وقوامة الرجل، واستخدامها في شحن النساء الجاهلات، ودفعهن للتمرد على أحكام الشريعة، واستغلال إساءة بعض الأزواج في الطلاق والتعدد والتوارث والقوامة في نسبة هذه الإساءات إلى الأحكام الشرعية نفسها. ولا يخفى ما يمارسه الإعلام الظالم في تكريس هذه الشبهات بشتى الوسائل والبرامج الإعلامية.

٧- محاولة الهيمنة على مناهج التعليم في بلدان المسلمين وغزوها وشحنها، بما يثير الشبهات والشكوك في نفوس الناشئة من أبناء المسلمين، ولاسيما ما يتعلق بالعلوم الإنسانية في التاريخ والأدب وعلوم النفس، مع أن العلوم البحتة لم تخلو هي الأخرى من المغالطات والمعارضات، لما في الوحيين الشريفين من علوم قطعية لا يعتريها الباطل ولا الخطأ. وذلك كما في كتب الطبيعة والفلك ونشأة الإنسان، ويبرز خطر هذه المناهج بشكل بين وواضح فيما يسمى بالمدارس العالمية.

سادساً: الهجوم على الاقتصاد الإسلامي بشبهات يحلون بها الربا والمكاسب المحرمة

الاقتصاد الإسلامي رباني المصدر، فلا جرم كان كاملاً وعادلاً وشاملاً لمصالح الناس يتسم بالإيجابية والواقعية والتوازن، وسطاً

obeikandl.com

بين جشع الرأسمالية، التي تستخدم أي وسيلة لجمع المال وبين تطرف الاشتراكية التي تصادم فطرة الإنسان وعقله في إلغاء الملكية الفردية، ولا غرابة في كمال دين الإسلام ونظافته فهو من لدن حكيم عليم، لطيف خبير، رحيم ودود ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

ولقد دأب شياطين الإنس في دول الكفر وتابعهم أذنابهم من المنافقين في نشر شبهاتهم حول الاقتصاد الإسلامي؛ لأنه هو السد المنيع الذي يقف أمام استبدادهم وظلمهم للناس في إفساد اقتصادهم وإفقارهم، ويمنعهم من انفرادهم في تضخيم أرصدتهم المحرمة القائمة على ظلم الناس وإفساد أموالهم، ومن أهم الممارسات والشبهات التي يثيرونها حول الاقتصاد الإسلامي:

١- زعمهم أن تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقعنا المعاصر المعقد متعذر، لكون الربا بزعمهم أصبح من الضرورات التي تبيح المحظورات، وكونه يعيق النمو الاقتصادي ولا غناء عنه، وهذه الشبهة أضعف من بيت العنكبوت.

أولاً: لأن الذي أحل لنا الحلال وحرم علينا الحرام هو الله ﷻ رب السموات والأرض ومن فيهن، وهو أعلم بما يصلح لخلقه، وهذا الذي يعلم ما كان وما سيكون، ويعلم أنه سيأتي زماننا الذي نعيشه اليوم، فجاء تشريعه سبحانه صالحاً لكل زمان ومكان ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

﴿ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥] وقد حرم الله ﷻ الربا في جميع الديانات السماوية.

وثانياً: بالنظر إلى المجتمعات والدول الرأسمالية القائمة على الربا والمعاملات المحرمة، نرى تخبطها وانهيار اقتصادها، وانتشار الظلم والديون على شعوبها، مما حدا ببعض رموزهم إلى المناداة باقتصاد خال من الربا، كما هو الحال في الاقتصاد الإسلامي.

وثالثاً: أن القاعدة التي استدلوا بها (الضرورات تبيح المحظورات) هي قاعدة صحيحة في أصلها، لكنهم استخدموها بجهل أو خبث في غير محلها، ودون شروطها وضوابطها الشرعية التي إذا طبقت على جريمة الربا فإنها لا تنطبق لعدم توافر واحد من هذه الشروط والضوابط فيها.

٢- قولهم: إن الإسلام صلة بين العبد وربه ولا دخل للإسلام ومعاملات الناس واقتصادهم، والإنسان حر في ماله، وهذه قولة فاجرة يرددها العلمانيون والليبراليون من بني جلدتنا، ولهم في ذلك أسوة سيئة بأصحاب الأيكة من قوم شعيب، عندما كان -عليه الصلاة والسلام- يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن الشرك وأكل أموال الناس وبخسهم ونقصهم الميزان، قالوا له: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]، وهذا ما يقوله العلمانيون اليوم عن شرع الله ﷻ ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣].

إن العبودية الحقة التي من أجلها خلقنا الله ﷻ تقوم على التسليم والإذعان لله تعالى في كل أحوالنا ومعاملاتنا وحركاتنا وسكناتنا ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

٣- فتح باب التأويل في تحليل كثير من المعاملات المحرمة وأكل أموال الناس بالباطل، ولاسيما المعاملات المصرفية والبيوع المحرمة، وتسميتها بغير مسمياتها الشرعية، كتسميتهم الربا بالفائدة، وتسميتهم لكثير من عقود الغرر والجهالة بالتأمين، وكثير من عقود الربا والعينة وبيع ما لا يملك الإنسان بعقود المرابحة وسحق المحتاجين من المسلمين بالرهون العقارية، وممارسة القمار الميسر باسم المتاجرة والربح في بيع الأسهم التي يصبح فيها الرجل غنياً غناءً فاحشاً ويمسي فقيراً معدماً، ولاسيما في طبقة الفقراء والمتوسطين، أما أصحاب رؤوس الأموال الفاحشة فهم المستفيدون في الغالب من هذا التلاعب في بيع الأسهم ورفع قيمتها وخفضها حسب شهواتهم، ويسمون ذلك بيعاً ومتاجرة مع ما فيه من النجش والغش للمخدوعين من المسلمين.

ومن ذلك أخذ الرشوة باسم السمسرة والأتعاب، وكل هذه المعاملات والبيوع المحرمة غريبة على مجتمعات المسلمين، ولم تعرف إلا بعد هذا الغزو الاقتصادي من بلاد الكفر، والقائم على الربا والجشع وتحصيل الأموال بأي وسيلة كانت، فالمهم كسب المال بأي طريقة

وصدق الرسول ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي المَرْءُ مِمَّا أَخَذَ المَال أَمِن الحَلالِ أَمْ مِن الحَرَامِ**»(١).

٤- غزو أسواق المسلمين بأفكار وأساليب الدعاية والتسويق القائمة على الكذب والتضليل، وابتزاز أموال الناس بالباطل، وتوظيف الإعلام المقروء والمسموع أو المرئي في خداع الناس، ودفع الناس دون رغبة منهم في شراء السلع القائم ترويجها على الكذب والغش والخداع، وقد قال الرسول ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢).

٥- ومن ممارسات الكفار في إضعاف الاقتصاد الإسلامي سعيهم إلى أن تكون المجتمعات المسلمة مجتمعات مستهلكة لسلع الكفار وإبعاد المسلمين من أن يكون لديهم الاكتفاء الذاتي في طعامهم وشرابهم وضرورياتهم الأخرى، وذلك ليبقوا تابعين لدول الكفر الغازية التي تتحكم في غذائهم واحتياجاتهم، ومن ثم تضمن تبعيتهم وإذلالهم وخنوعهم، وصدق من قال من علماء الاقتصاد الإسلامي: (من لم ينتج ويملك غذاءه لا يملك أمنه).

ومن ذلك أيضاً إيهام الكفار لأصحاب الأموال في بلدان المسلمين بأن بلدانهم المسلمة غير آمنة ومعرضة للتقلب ولعدم الاستقرار، فيغرونهم بهذه الشبهات والدعوات إلى هجرة المال الإسلامي إلى بنوكهم، واستثمارها في دول الكفر وحفظها فيها؛ لأنها أكثر أماناً واستقراراً،

(١) مسلم (٢٩٦٢).
(٢) البخاري (٢٥٦٣).

obeikandl.com

فهاجرت -وللأسف- كثير من رؤوس أموال المسلمين وأودعت في بنوك الغرب، ولا يخفى ما في ذلك من دعم لاقتصاد الكفار القائم على الربا والجشع والظلم والاستبداد.

٦- غزو أسواق المسلمين بمطاعم ومشارب مشتبهة كلحوم الميتة أو التي تحتوي على مشتقات الخنزير أو دهونها، وكذلك غزو أسواق المسلمين ببعض الملبوسات التي عليها صور، أو كتب عليها ما فيه تعظيم بعض رموز الكفار أو شعاراتهم وطقوسهم.

من وسائل الغزاة في بث شبهاتهم وأباطيلهم

قبل ذكر هذه الوسائل المختلفة أذكر أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكفار في غزوهم الفكري وبث الشبهات، ألا وهم المنافقون من بني جلدتنا الذين يشكلون الذراع القوية لإيصال ما يريده الكفار من صرف المسلمين عن دينهم وأخلاقهم، بل إنهم البوابة التي دخلوا منها، ويدخلون إلى بلدان المسلمين في احتلالهم العسكري، والتمكن من بلدان المسلمين وأماكن التأثير فيها، ونظرة سريعة إلى الغزو الأمريكي لبلاد الأفغان والعراق، وما قام به الانقلابيون على الحكومة الشرعية في مصر ترينا هذه النظرة، وذلك الدور الخياني الكبير في تسهيل احتلال الكفار لتلك البلاد.

ونظرة إلى ما تقذف به صحف ومجلات ومواقع المنافقين من العلمانيين والليبراليين ترينا ذلك التوافق العجيب والتناغم الشديد بين ما يطرحونه

وما يدعو إليه الكفار ويطرحونه من أفكار وشبهات، وصدق الله العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

وبعد هذا التنبيه على خطر المنافقين ودورهم في تنفيذ ما يريده الكفار من زعزعة لعقيدة المسلمين وأفكارهم، أسوق فيما يلي وبصورة مختصرة بعض تلك الوسائل التي يعول عليها الكفار وأذنابهم المنافقون في التأثير على عقول وأفكار المسلمين بما يبثونه من الشبهات:

أولاً: وسائل الإعلام المختلفة المقروء منها من الكتب والصحف والمجلات، وما تنتجه مراكز الأبحاث من مقالات وغيرها، والمسموع من الإذاعة والأشرطة والأقراص المدمجة والمرئي من تلفاز وقنوات ومواقع إلكترونية وجوالات ذكية وغيرها. وهذا من أعظم وسائلهم وأخطرها، حيث لم يمر في تاريخ البشرية منذ أن خلق الله ﷻ هذا الإنسان مثل هذه الوسائل الإعلامية المتطورة في مخاطبة عقول الناس والتأثير عليها.

ثانياً: الحركة الاستشراقية التي بدأت منذ قرون التي ما فتأ المستشرقون المهتمون بالتراث الإسلامي من بث شبهاتهم وتشويهاتهم لعقيدة الإسلام وأحكامه وللتاريخ الإسلامي، وألفوا في ذلك الكتب، وكتبوا المقالات المسمومة.

ثالثاً: فتح المدارس الأجنبية التي تسمى بالعالمية، وتدريس طلابها مناهج ملوثة قد وضعت أهدافها المنحرفة بدقة، بل إن الأمر قد تجاوز هذه المدارس الخاصة إلى تدخل الكفار في مناهج مدارس التعليم العامة، وسعوا إلى حذف كل ما من شأنه إيغار الصدور على الكفار والبراءة منهم والكراهة لهم، ونزع ذلك من قلوب المسلمين، ومن ذلك تقليص الحديث عن الجهاد وأبطاله المسلمين.

يتحدث الأستاذ (مهيمن عبدالجبار) في مقال بعنوان (التعليم الأجنبي أخطار لا تنتهي) يقول فيه:

(ولكي نتصور القضية تصوراً صحيحاً لابد أن نضع في حسباننا أمورًا عدة:

أولها: أن التعليم الأجنبي يأتي ضمن منظومة واسعة لتغريب الأجيال وإبعادهم عن دينهم، تتضمن التعليم، والإعلام والثقافة، ويتستر خلفها التبشير والاستشراق والاستعمار، وتساندها بقية الأدوات.

وثانيها: أن الكلام حول التعليم الأجنبي يتناول المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية ومدارس الجاليات بالأصالة، كما يشير إلى مدارس اللغات والمدارس التجريبية التي تقفوا أثر المدارس الأجنبية، وإن تسمَّت بأسماء عربية بالتبعية، كما يتطرق الحديث إلى الابتعاث إلى الدول الغربية.

وثالثها: أن حديثنا عن دور وأخطار هذا النوع من التعليم يزيد من شأنه، ولا يهون ما يتم للتعليم الوطني اليوم في كثير من بلادنا الإسلامية،

obeikandi.com

تحت مسميات التطوير والتحديث، ضمن ما يعرف بالعولمة التعليمية التي ترعاها المؤسسات الدولية وتدفع إليها الدول الغربية.

ورابعها: أن التعليم في الإسلام يعني عملية إفراز وتنمية للولاء العقدي، الذي هو أعلى وأوثق أنواع الولاء، كما يرتبط بقيمة وجودية للأمة الإسلامية هي الهداية، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

كما يرتبط بقيمة أخرى في الآخرة هي الوقاية من عذاب الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وهذا كما قال المفسرون يتم بالتعليم والتأديب، وفيه ملمح مهم، وهو ارتباط التعليم بالإصلاح، على عكس ما يحدث اليوم في التعليم الأجنبي.

وخامسها: أن دخول أطراف خارجية في العملية التعليمية يعني تعريض أمن الأمة للخطر؛ وذلك حين يتعرض دين الأجيال للتحريف وعقولهم لألوان الغزو الفكري.

إننا كثيراً ما نلمس آثار هذه المدارس على المتخرجين فيها، لكن ما يغيب عنا أكثر، دون أن يكون لنا أفراد أو مجتمعات دور يتفاعل مع قضية بهذه الخطورة.

وسادسها: إن الحديث عن التعليم الأجنبي اليوم لا يمكن التطرق إليه بمنأى عن الخريطة التعليمية القطرية والعولمية؛ فلم تعد المدارس

الأجنبية هي الخطر الوحيد في المجال التعليمي؛ بل ينبغي تصور خريطة الأخطار المحتفة بالتعليم اليوم؛ فهناك مدارس الإرساليات (علمانية، ودينية)، وهناك المدارس الدينية التي تخص الطوائف النصرانية التي تعيش في بلداننا الإسلامية، والمدارس الخاصة التي تقتفي أثر هذه المدارس، إلى جانب التعليم العام المنجذب مغناطيسياً نحو مجال هذه المدارس كنموذج)[1].

رابعاً: تكثيف حملات الابتعاث إلى بلاد الكفار، ولاسيما من شريحة المراهقين من الطلاب والطالبات، والزج بهم في جامعات مختلطة، وغسل أفكارهم مما يرونه ويسمعونه في دراستهم وحياتهم اليومية من شبهات وأفكار منحرفة، وافقت قلوباً خاوية من العلم الشرعي، جاهلة بحقيقة دينها، منبهرة بحضارة الغرب، فحدث ولا حرج عن هاتيك العقول المسمومة، وأثرها على توجيه أفكار المسلمين وحياتهم بعد رجوعهم إلى بلدانهم.

خامساً: إقامة المؤتمرات والندوات والحوارات التي يطرح فيها ما من شأنه تمييع عقيدة التوحيد والولاء والبراء باسم التسامح الديني والسلام والإخاء بين أصحاب الديانات السماوية والتقريب بينهم، والدعوة إلى ما يسمى بحوار الأديان.

سادساً: إقامة المؤتمرات العالمية التي تدعي الحفاظ على حقوق الإنسان وحريته، ومن ذلك حقوق المرأة، واستخدام هذه المؤتمرات في النيل من أحكام المرأة في الإسلام، والدعوة إلى تحريرها ومساواتها

(١) مجلة البيان عدد (١٧٤).

بالرجل، ومن ذلك وثيقة الخنا والفجور التي طرحت على جميع الدول للتوقيع عليها، مع ما تتضمنه من محادة لشريعة رب السموات والأرض، ومع ما فيها من تشريع للزنا والعهر وفساد النسل والأعراض.

سابعاً: ما يسهم به من يسمون بالعقلانيين أو العصريين من أفراخ المعتزلة، الذي يقدسون العقل ويحاكمون إليه النقل الصحيح من الكتاب والسنة، فما وافق العقل أخذوا به، وما عارضه -بزعمهم- ردوه أو تأولوه، ولقد طار المفسدون من الكفار والمنافقين بهذا المنهج، وعظموه وأعظموا رموزه وحسنوه للناس، واتكأوا عليه في غزوهم العقدي والأخلاقي للدين الإسلامي.

ثامناً: ما يقوم به بعض الطيبين من الدعاة أو طلبة العلم -بحسن نية- من فتاوى أو مقالات يستغلها المفسدون من أهل البدع والنفاق في تمرير بعض الأفكار والأخلاق المنحرفة، وذلك من عدم الوعي من هؤلاء المجتهدين بمآلات مقالاتهم أو فتاويهم، فيطلقونها بحجة التيسير على المسلمين، ويتأولون ذلك بأنهم يعملون القواعد الشرعية، كقاعدة الضرورة والمصلحة المرسلة، والمشقة تجلب التيسير، ولكن دون شروطها وضوابطها، وما علموا ما يترتب على طرحهم من مآلات فاسدة ونتائج خطيرة، وبذلك فهم يسهمون من حيث لا يشعرون في خدمة الغزاة من الكفار والمنافقين في تحقيق بعض مآربهم، ونشر أفكارهم.

إن عدم الاعتناء من بعض المفتين بقاعدة (سد الذريعة) التي تمثل ربع الشريعة التي تقوم على تحريم الوسائل التي تؤدي إلى الحرام. إن

إغفال ذلك مع فتح باب التأويل واتباع المتشابه؛ ليعد باباً خطيراً من أبواب الفساد يدخل منه أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين في بث الشبهات والتهوين من حرمات الله ﷻ والجرأة على انتهاكها.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: (وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: **أحدهما**: مقصود لنفسه. **والثاني**: وسيلة إلى المقصود. والنهي نوعان: **أحدهما**: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه. **والثاني**: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين. وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فإن الشارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن والمحتال يفتح الطريق إليها بحيلة، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم إلى من يعمل الحيلة في التوصل إليه)[1].

ويتحدث رحمه الله عن خطورة فتوى المفتي دون النظر منه إلى مكر وخداع المستفتي، والمآلات التي تؤول إليها فتواه، فيقول:

(**الفائدة الرابعة والأربعون**: يحرم عليه إذا جاءته مسألة فيه تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده، بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم يوازره فقه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ١٥٩).

ظاهرها ظاهر جميل وباطنها مكر وخداع وظلم، فالغر ينظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينقد مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زغل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زغل الدراهم، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقود، وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق، وكم من حق يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل، ومن له أدنى فطنة وخبرة لا يخفى عليه ذلك، بل هذا أغلب أحوال الناس ولكثرته وشهرته يستغنى عن الأمثلة، بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع كلها وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة وكسوها ألفاظًا يقبلها بها من لم يعرف حقيقتها)[1].

ويتحدث في موطن آخر عن خطورة التأويلات الفاسدة التي يتوصل بها إلى البدع والمحرمات، فيقول:

(ويكفي المتأولين كلام الله ورسوله بالتأويلات التي لم يردها ولم يدل عليها كلام الله أنهم قالوا برأيهم على الله، وقدموا آراءهم على نصوص الوحي، وجعلوها عياراً على كلام الله ورسوله، ولو علموا أي باب شر فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة وأي بناء للإسلام هدموا بها، وأي معاقل وحصون استباحوها؛ لكان أحدهم أن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتعاطى شيئاً من ذلك، فكل صاحب باطل قد جعل ما تأوله المتأولون عذراً له فيما تأوله هو، وقال ما الذي حرم علي التأويل وأباحه لكم، فتأولت الطائفة المنكرة للمعاد نصوص المعاد،

(١) «أعلام الموقعين» (٤/ ٢٢٩).

وكان تأويلهم من جنس تأويل منكري الصفات، بل أقوى منه لوجوه عديدة يعرفها من وازن بين التأويلين، وقالوا: كيف نحن نعاقب على تأويلنا وتؤجرون على تأويلكم.. وكذلك فعلت الرافضة في أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ﷺ وكذلك فعلت المعتزلة في تأويل أحاديث الرؤية والشفاعة، وكذلك القدرية في نصوص القدر، وكذلك الحرورية وغيرهم من الخوارج في النصوص التي تخالف مذاهبهم، وكذلك القرامطة والباطنية طردت الباب وطمت الوادي على القرى، وتأولت الدين كله، فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل، وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، فمن بابه دخل إليها وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل.

وليس هذا مختصاً بدين الإسلام فقط، بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد.

وقد توارثت البشارات بصحة نبوة محمد ﷺ في الكتب المتقدمة، ولكن سلطوا عليها التأويلات فأفسدوها كما أخبر -سبحانه- عنهم من التحريف والتبديل والكتمان، فالتحريف تحريف المعاني بالتأويلات التي لم يردها المتكلم بها، والتبديل تبديل لفظ بلفظ آخر، والكتمان جحده وهذه الأدواء الثلاثة منها غيرت الأديان والملل، وإذا تأملت دين المسيح

وجدت النصارى إنما تطرقوا إلى إفساده بالتأويل بما لا يكاد يوجد قط مثله في شيء من الأديان، ودخلوا إلى ذلك من باب التأويل، وكذلك زنادقة الأمم جميعهم إنما تطرقوا إلى إفساد ديانات الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- بالتأويل، ومن بابه دخلوا وعلى أساسه بنوا، وعلى نقطه خطوا.

والمتأولون أصناف عديدة بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب تصور أفهامهم ووفورها وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشد انحرافاً، فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق، ومنهم من يجتمع له الأمران الهوى في القصد، والشبهة في العلم.

نتائج التأويل:

وبالجملة فافتراق أهل الكتابين وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل، وإنما أريقت دماء المسلمين يوم الجمل وصفين والحرة، وفتنة ابن الزبير وهلم جرا بالتأويل، وإنما دخل أعداء الإسلام من المتفلسفة والقرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية من باب التأويل، فما امتحن الإسلام بمحنة قط إلا وسببها التأويل، فإن محنته إما من المتأولين، وإما أن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل، وخالفوا ظاهر التنزيل، وتعللوا بالأباطيل، فما الذي أراق دماء بني جذيمة وقد أسلموا غير التأويل، حتى رفع رسول الله ﷺ يديه، وتبرأ إلى الله من فعل المتأول بقتلهم وأخذ أموالهم..

وما الذي سفك دم أمير المؤمنين عثمان ظلماً وعدواناً، وأوقع الأمة فيما أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل، وما الذي سفك دم علي رضي الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضي الله عنهم غير التأويل، وما الذي أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل، وما الذي أراق دم ابن الزبير وحجر بن عدي وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة غير التأويل، وما الذي أريقت عليه دماء العرب في فتنة أبي مسلم غير التأويل.

وما الذي جرد الإمام أحمد بين العقابين وضرب السياط، حتى عجت الخليقة إلى ربها تعالى غير التأويل، وما الذي قتل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي، وخلد خلقاً من العلماء في السجون حتى ماتوا غير التأويل، وما الذي سلط سيوف التتار على دار الإسلام حتى ردوا أهلها غير التأويل، وهل دخلت طائفة الإلحاد من أهل الحلول والاتحاد إلا من باب التأويل، وهل فتح باب التأويل إلا مضادة ومناقضة لحكم الله في تعليمه عباده البيان الذي امتن الله في كتابه على الإنسان بتعليمه إياه)[1].

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٤٤٩-٢٥٢) (باختصار شديد).

المبحث الثالث

الغزو الإباحي والسلوكي وإثارة الشهوات لإفساد الأعراض والأخلاق

ويتمثل أغلب وسائل هذا الغزو فيما يقوم به الإعلام المعاصر بشتى صوره وتقنياته المقروء منه والمسموع والمرئي في فتح باب الشهوات على مجتمعات المسلمين والتوصل بذلك إلى إفساد أخلاق المسلمين وأعراضهم وقيمهم، وبث الرذيلة والانحلال في أوساطهم، لاسيما أوساط الشباب والفتيات، ويتولى كبر ذلك القنوات الفضائية وشبكات (النت) التي دخلت بيوت المسلمين دون استئذان، ولم يكتف المفسدون بذلك، بل وصلت تقنياتهم الشيطانية إلى أن تكون هذه الفضائيات والشبكات ووسائل الإفساد في متناول أيدي الأطفال والشباب والنساء في أي مكان، وليس البيت وحده، وذلك بما أنتجوه من الحواسب والجوالات المسماة بالذكية، ولا ندري ما بعد ذلك من التقنيات ووسائل الإفساد، ولا يعني الحديث عن الدور الإفسادي لهذه الوسائل أننا ننسى أو نتجاهل الأثر الإيجابي لبعض هذه التقنيات التي يستخدمها المصلحون في الإصلاح، فأثر ذلك واضح والحمد لله، ولكن ماذا تساوي نسبة الوسائل الإعلامية المصلحة بجانب الوسائل المدمرة للأخلاق المشيعة للفاحشة والرذيلة والركون إلى الدنيا، والإحصائيات والتقارير الآتية تثبت ذلك:

١ - في دارسة تحليلية قامت بها مؤسسة ريادة بالتعاون مع الهيئة الإسلامية للإعلام بعنوان: (خارطة الإعلام الفضائي العربي)، ذكروا فيها

جـدول توزيـع القنـوات الفضائية العربيـة للمضمـون المتخصص، يظهر لنا تصدر المضمون الفني (أغاني وموسيقى) على بقية المضامين الأخرى، كما يظهر أيضاً كثرة المواقع الإباحية.

انظر الجدول أسفله:

التصنيف الأول	مجموع القنوات	التصنيف الثاني	عدد القنوات
إخبارية وسياسية	٤٦		
إعلانات	٢٧		
اجتماعية	٣٢	طفل	١٣
		زواج	٤
		شئون مرأة	٤
		أخرى	١١
اقتصادية	٢٦	سياحة	٤
		عقار	٢
		بورصة وأسهم	٢
		أخرى	١٨
تعليمية	١٢	ما قبل الجامعي	٤
		جامعي	٤
		خاصة	٣
		محو أمية	١

التصنيف الأول	مجموع القنوات	التصنيف الثاني	عدد القنوات
ثقافية	٤٦	فكر وأدب	
	٢٧	مسابقات	
		سحر ودجل	
إباحية (جنسية	١٨		
دينية	٣٣	إسلامية	٢٦
		نصرانية	٧
رسائل	١٧		
رياضة	٣٥		
صحية	٤		
علمية	١١		
فنية	١٤٦	أغاني وموسيقى	٧٢
		دراما	٤١
		منوعات	٣٢
		أناشيد	١
اقتصادية	٢٦	سياحة	٤
		عقار	٢
		بورصة وأسهم	٢
		أخرى	١٨
تعليمية	١٢	ما قبل الجامعي	٤
		جامعي	٤
		خاصة	٣
		محو أمية	١

تبين القراءة التحليلية للجدول السابق ما يلي:

أ- تصدر المضمون الفني قائمة المضامين التي تخصصت القنوات الفضائية العربية في بثها للشعوب العربية؛ حيث بلغ عدد القنوات الفنية (١٤٦) قناة، منها: (٧٢) قناة تخصصت في تقديم المضمون المتعلق بالأغاني والموسيقى، و(٤١) قناة تخصصت في تقديم المضمون الدرامي من أفلام ومسلسلات، و(٣٢) قناة تقدم المنوعات؛ وذلك في مقابل قناة وحيدة فقط هي قناة »شدا« الفضائية التي تخصصت في تقديم الأناشيد الدينية الإسلامية.

والنتيجة السابقة تشير بجلاء إلى حالة التردي الأخلاقي التي يعاني منها الإعلام الفضائي الموجه إلى المجتمعات العربية، وإلى تعرض هذه المجتمعات لنوع من غسيل الدماغ.

ب- ثبت بالحصر وجود عدد كبير من القنوات الإباحية بين القنوات الفضائية العربية؛ حيث بلغ عددها (١٨) قناة، يبث غالبها عبر القمر الصناعي الأوروبي Hot Bird، كما أن تقديم هذه القنوات لمضمونها الهدام باللغة العربية من شأنه توسيع القاعدة الجماهيرية لها؛ مما يعطي مؤشراً بأن هناك أيدٍ خفية تخطط لاستدراج الشباب نحو الثقافات الهدامة؛ وذلك بنشر قيم الإباحية، والتهوين من شأن المحرمات، وتسويغ العلاقات المحرمة بين الجنسين التي من أهم آثارها: تفكك العلاقات والروابط الأسرية، انتشار الجرائم في المجتمع كالاغتصاب، القتل، تجارة المخدرات، وزرع قيم مغايرة عن تلك الذي نشأ الفرد المسلم في ظلها؛ مما يشعره في

obeikandl.com

نهاية الأمر بالاغتراب عن محيطه الاجتماعي، ويفقده الشعور بالانتماء إلى هذا المجتمع مع مرور الوقت، ولقد لوحظ أن هذه القنوات كافة مجهولة الملكية، وإن قيل: إن تمويل بعضها من جيوب عربية، إلا أنه لم يثبت ذلك من مصادر موثوقة.. ومن خلال الرصد لتلك القنوات تبين أن هذا العدد المتمثل في (١٨) قناة إباحية ناطقة بالعربية (تبث على القمر الأوروبي هوت بيرد)، ليس هو كل ما تبثه الأقمار التي تغطي المنطقة العربية، بل تبث حوالي (٧٠) قناة إباحية أخرى: إما ناطقة بلغات أخرى ليست في إطار حدود الدراسة، أو مشفرة لم نتمكن من الاطلاع على محتواها، أو التعرف على مالكيها..)[1].

كما قامت مؤسسة ريادة في نفس الدراسة بتقرير عن القنوات الموجهة بالإنجليزية والعربية معاً للعالم العربي قالت فيه:

(هناك مجموعة قنوات تغلب عليها اللغة الإنجليزية، إلا أنها تقدم بعض العروض بالعربية مثل قناة (نيكل) الفنية الإنجليزية، وقناة (ديزني الشرق الأوسط (أطفال)) التي تتبع لشركة ديزني الأمريكية العالمية، وقناة (جايتكس فوكس كيدز (أطفال) التي تتبع لشركة (ستار الهندية العالمية) كل هذه القنوات متخصصة في برامج الأفلام الخاصة بالأطفال.

ولا يخفى على أحد أن ما تقدمه هذه القنوات من نماذج وقدوة يعبر عن الثقافة النصرانية الأمريكية، والإنجليزية، وغيرها من الثقافات الغربية؛ فمثلاً الخنزير حيوان مُحبّب للأطفال حسب الثقافة النصرانية

(١) انظر: خارطة الإعلام الفضائي العربي (مؤسسة ريادة) (ص٤٣) وما بعدها.

obeikandl.com

الغربية، وشخصية المسلم العربي شخصية إنسان غبي وشرير وخائن وجشع في مقابل شخصية الأمريكي أو الغربي التي تتسم بالكرم والشجاعة والذكاء، وتتميز بالعلم وسعة الأفق والثقافة.

ومن خلال الكوميديا وأفلام ديزني تظهر شخصية التلميذ والطالب في المرحلة الإعدادية والثانوية التي تعد نموذجاً للشاب المتحرر من كل شيء؛ فالفصول مختلطة، والعلاقات الجنسية مع الجنس الآخر مباحة، والصليب يظهر على الصدور في مشاهد ترمز إلى الرحمة والروحانية من وجهة نظرهم.

أما مجموعة قنوات المنوعات الفنية المختلفة من أفلام ومسلسلات وإعلانات؛ فإنها تعرض للنموذج الأمريكي، بقيمه ومبادئه، فهي تعرض الجنس بشكل فاضح، كما تعرض العلاقات الشاذة)[1].

٢- وفي دراسة قامت بها (مؤسسة ريادة) عن (الفيديو كليب.. مفهومه وتاريخه) قالت فيها:

(الفيديو كليب): هو فيلم قصير يقدم عمل فرقة موسيقية ويظهر بصرياً قيمة الموسيقى التي تقدمها المجموعة، وتحتوي على رقص وهدفه هو الدعاية للفرقة الموسيقية أو لاسطواناتها بوسائل متعددة من بينها التلفزيون..

(والفيديو كليب) ظاهرة أثرت سلباً في الأذواق والأخلاق وحتى في طريقة اللبس، وقد تحول لسباق من العري وعرض الأجساد، حتى

(١) المصدر نفسه.

obeikandl.com

أطلـق عليه البعض (البورنو كليب) أو غناء غـرف النوم!!.. وقد أصبح (الفيديـو كليب) خطـراً يجتـاح عالمنا ويفرز آثـاره السـلبية التي تنعكس بسرعـة غريبة على الشـارع في الألفاظ والملابس، وأصبـح كليب (غرف النوم) خطراً يدق أبواب أكثر البيوت، فهو طوفان من العري والإباحية.

يقول د. عبدالوهاب المسيري: (فالفيديو كليب يؤكد جانباً واحداً من الأغاني، وهو الجانب الجنسي، فالراقصات لا يتركن أي مجال لخيال المشاهد، والصـورة عادة أقوى من الكلمة خاصة إذا كانت صورة حسـناء نصف أو ربع عارية.. والرقص يقدم في الفيديو كليب على أنه جزء من صميم حياتنا العاديـة اليومية.. إن القنوات الفضائيـة التي تذيع الفيديو كليبات تصل إلى منازلنا وأحلامنا، وتعيد صياغة رؤانا وصورتنا للآخرين وأنفسنا. ودافعها الوحيد هو الربح المادي، وليس الاستنارة أو تعميق إدراك الناس لما حولهم، فهي مشاريع رأسمالية طفيلية تبحث عن الربح)[1].

٣- وفي دراسة أخرى قامت بها (مؤسسة ريادة) عن (التلفزيون والطفل) تحت عنوان (الفضائيات العربية.. نعمة أم نقمة؟) تحقيق: ختام محمد قالت فيه:

(نتيجـة للتقـدم العلمـي والتكنولوجي السريع الـذي اجتاح العالم؛ شـهدت السـنوات الأخيرة من القرن العشرين ظهـور القنوات الفضائية وانتشارها على نطاق واسع؛ مما أدى إلى تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة تربطهـا شـبكة اتصالات واحدة عـبر الأقـمار الصناعية، كـما تنامت قوة

(١) المصدر نفسه.

الإعلام الفضائي، وازدادت المنافسة بين القنوات الفضائية على استقطاب المشاهدين، وذلك من خلال ما تبثه من برامج علمية، وثقافية، وترفيهية، وأيديولوجيات متعددة موجهة إلى المشاهدين باختلاف مراحلهم العمرية، إلا أنها بالتأكيد أكثر تأثيراً على الأطفال والمراهقين؛ نتيجة للاستعداد السيكولوجي والتغيرات البيولوجية المرافقة لهذه الشريحة.

إن استخدام الأقمار الصناعية في المجال الإعلامي، وبث القنوات الفضائية، أحدث تغيرات جوهرية في دور الإعلام، جعلت منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع، فهو اليوم محور لثقافة الكبار ورافد مهم لتنشئة الصغار؛ حيث تستهدف القنوات الفضائية مستقبلي مادتها في البيوت، مكان وجود القاعدة العريضة من جمهور المشاهدين الذين يستهلكون ويمتصون ما يُعرض عليهم من الإنتاج الثقافي لتلك القنوات من الأفلام والمسلسلات والأغاني.

فأصبح يقدم «الفيديو كليب» لأبنائنا -وخاصة الشباب منهم- كل يوم ما هو جديد وعصري، ولكنه في معظمه يُقَدَّمُ لهم على أطباق مذهبة ومزخرفة بنقوش من الزيف والتزوير، يُقَدّم لهم الأفكار التافهة والمعاني الرخيصة، وما نُقُوشُه ولا زخارفه إلا تعرٍّ وكشف للمفاتن، ومحاصرة جريئة لأخلاق الأسر وعاداتها ودينها.

فقد أكدت استبانة أجرتها «مجلة ولدي» أنَّ ٩٨٪ من الأبناء يتابعون «الفيديو كليب» بشغف.

وقد أجريت استبانة مع ٥٧ من الآباء والأمهات و٦٥ من الأبناء في كل من (الكويت والسعودية والإمارات) وثبت أنَّ:

- الأبناء من سن ٣ أعوام إلى ١٨ عاماً يشاهدون «الفيديو كليب».

- ٩٢,٣٪ من الأبناء يتابعونه باستمرار.

- ٧,٧٪ هم من لا يحرصون على متابعته من الأبناء.

- ٣٩٪ من الأبناء تعجبهم كلمات الأغنية، و٣١٪ يشاهدونها لجمال المغني أو المغنية (الراقص والراقصة).

- ٢٦,٥٪ منهم يجذبهم إخراج الأغنية وعلاقة المرأة بالرجل فيها.

- ٢٥٪ يتابعونها لما تحتويه من إثارة وتشويق.

وكان من أهم الآثار التي تنعكس على الطفل نتيجة متابعته لما يعرض على الفضائيات:

- يحرم الطفل من التجربة الحياتية الفعلية التي تتطور من خلالها قدراته إذا شغل بمتابعة التلفزيون.

- يحرم الطفل من ممارسة اللعب الذي يعد ضرورياً للنمو الجسمي والنفسي، فضلاً عن حرمانه من المطالعة والحوار مع والديه.

- التلفزيون يعطل خيال الطفل؛ لأنَّه يستسلم للمناظر والأفكار التي تقدم له دون أن يشارك فيها، فيغيب حسه النقدي وقدراته على التفكير.

obeikandl.com

- تستنفد طاقات الأطفال الهائلة وقدراتهم على الحفظ في حفظ أغاني الإعلانات وترديد شعاراتها.

- يشبع التلفزيون في النشء حب المغامرة، كما ينمي المشاغبة والعدوانية، ويزرع في نفوسهم التمرد على الكبار والتحرر من القيود الأخلاقية.

- إثارة الغرائز البهيمية مبكراً عند الأطفال، وإيقاد الدوافع الجنسية قبل النضوج الطبيعي؛ مما ينتج أضراراً عقلية ونفسية وجسدية.

- يدعو الناشئين إلى الخمر والتدخين والإدمان، ويلقنهم فنون الغزل والعشق.

- إفساد اللغة العربية، لغة القرآن، وتدعيم العُجْمَة وإشاعة اللحن.

- تغيير أنماط الحياة (الإفراط في السهر)، كما يرسخ في الأذهان أنَّ الراقصات والفنانات ونجوم الكرة أهم من العلماء والشيوخ والدعاة والمبتكرين)[1].

٤- وفي دراسة أخرى عن آثار التلفزيون وأفلام الفيديو على الأطفال ولاسيما أفلام العنف والقتل.

ذكرت مؤسسة الريادة تحقيقاً قامت به د. بارعة شقير عن تأثير الأفلام والمسلسلات الأمريكية على الأطفال قالت فيه:

(من خلال هذه الدراسة تبين أنَّ معظم قيم الشباب أقرب إلى القيم المعروضة في التلفزيون، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الكثير

(١) (القنوات الفضائية العربية نعمة أم نقمة) ختام محمد (شبكة النبأ المعلوماتية) نقلًا عن مؤسسة الريادة (التلفزيون والطفل).

obeikandi.com

مـن الدراسـات التي وجدت أنَّ القيـم التقليدية التـي تعمل الأسرة على إيجادهـا لدى الطفل، آخذة في الضمور مقابل القيم المسـتمدة من الأفلام والمسلسلات الأمريكية، ويتنامى هذا الدور الذي تلعبه الدراما مع تنامي الـدور الذي يحتله التلفزيـون داخل الأسرة، وفي عملية التربية والتنشـئة الاجتماعيـة، فقبـل اقتحام التلفزيـون للبيوت كانت قاعـدة التربية ثلاثية الزوايا: البيت، والمدرسـة، ودور العبادة، إلا أنّه مع دخول التلفزيون إلى المنازل احتل هذا الجهاز الرسـمي الأكثر أهمية، والأشد فعالية، والأعمق أثراً، والأوسـع انتشاراً، والأسهل تناولاً، احتل مرتبة متقدمة في الإرشاد والتوجيه.

لم يعـد التلفزيـون أداة من أدوات التسـلية فقط، بـل أصبح من أهم العوامـل التي تؤثر على تنشـئة الطفل اجتماعيـاً في مختلف مراحل تطوره، فمشـاهدة التلفزيـون لا تتطلـب معرفـة القـراءة والكتابـة، وفي كثير من الأحيان يسـتطيع الطفل مشـاهدة التلفزيون قبل أن يستطيع الكلام، هذا إضافة إلى الوقت الذي يقضيه الطفل في مشـاهدة التلفزيون والذي يفوق في كثـير مـن الأحيان الوقت المخصـص للقراءة أو اللعـب، وهذا ما دفع بعـض الباحثـين إلى القـول: إنَّ التلفزيون هـو الوالد الثالـث فهو يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بالنسبة للطفل، وذلك بعد الأم والأب.

ولعـل الخطـورة الأكبر في الأفـلام والمسلسـلات الأجنبية تكمن في أنها مصنوعة في بلدان مختلفة في تركيبتها الاجتماعية والثقافية عن التركيبة الاجتماعيـة والثقافيـة لبلداننا العربية المسـلمة، وكذلـك تكمن الخطورة

في المضمون الذي تُرَكَّز عليه هذه الأفلام والمسلسلات، وبالتحديد الأمريكية منها، وقد وجد أحد الباحثين أنَّ المائة ساعة التي عرضت فيها مضامين مخصصة للطفل قد تضمنت ١٢ جريمة قتل، ١٦ معركة بالمسدسات، ٢١ شخصاً يصابون بالرصاص أو الضرب، ٢١ عملاً عنيفاً، ٣٧ منظر صراع وتضارب بالأيدي أو بأدوات مختلفة، محاولات للخنق وصراع تحت المياه وتقييد لليدين، ٤٥ محاولة انتحار، ٤ حوادث سقوط من مرتفعات عالية، حادثتين لسيارتين تسقطان من قمة جبل، محاولتين لدهس أشخاص بالسيارة عمداً، وصوراً مختلفة لأعمال عنيفة منها: صراع في طائرة، وقاتل مأجور يتعقب ضحيته، وحادثة سرقة ونشل، وامرأة تسقط من قطار، ومنظر إعدام بالمقصلة.

وقد زادت نسبة العنف المقدمة في برامج الأطفال عاماً بعد عام حتى وصلت هذه النسبة إلى ٩ , ٩٩٪ في برامج الأطفال الأمريكية، وفقاً لإحصاءات عام ١٩٩٣)[1].

٥- وفي دراسة قدمها د. خالد النجار عن (التربية التلفازية وبين الإيجابيات والسلبيات) قال فيها:

(أحكم التلفزيون قبضته على الأسرة، واحتل صدر المجالس في البيوت بلا منازع ولا منافس، وتربع فيها بشموخ منقطع النظير، وتشير أحدث الإحصاءات إلى أنَّه فيما بين ٦٠٠-٧٠٠ ساعة على الأقل من عمر

(١) تأثير الأفلام والمسلسلات الأمريكية على الأطفال (مجلة النبأ عدد ٧١) نقلًا عن مؤسسة ريادة.

obeikandl.com

الإنسان تضيع سنوياً في مشاهدة التلفزيون، ويشكل الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدخول إلى المدرسة أوسع شريحة من مشاهدي التلفزيون؛ حيث تبلغ ساعات مشاهدتهم حوالي ٩ , ٢٢ ساعة في المتوسط أسبوعياً، بينما يمضي أطفال المجموعة العمرية من ٦-١١ سنة حوالي ٤ , ٢٠ ساعة مشاهدة أسبوعياً، بل إنّ دراسات مسحية أخرى بينت أن هناك أوقات مشاهدة أطول تصل إلى ٥٤ ساعة أسبوعيًّا لأطفال لم يصلوا إلى السن المدرسية بعد.

وتتمثل الآثار السلبية للتلفاز على النشء الإسلامي والعربي في اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: يتعلق بمادة البرامج ودورها في نشر بعض المفاهيم التي تصطدم مع العقيدة الإسلامية الصحيحة والأسس الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعاتنا العربية.

أما الاتجاه الثاني: فيتعلق بالتأثير السيء الذي تحدثه ساعات المشاهدة الطويلة في التكوين النفسي والسلوكي للمشاهد.

ففي الجانب العقائدي: نجد أن بعض الأفلام تفسر الكون تفسيراً وثنياً؛ فتارة تتحدث عن العقل المركزي، وتارة تصور الكون على أنَّه مخلوق بقوة شريرة وأخرى خيرة تتصارعان، كما نجد في بعضها الإيحاء بقدرة بعض الخلق على مضاهاة الله في الخلق والإحياء والإماتة، مثل: بعض المشاهد المتضمنة لإحياء ميت باستخدام عصا سحرية، فضلاً عن

obeikandl.com

نشر بعض المشاهد المحتوية على الدجل والخرافة والشعوذة والسحر والكهانة المنافية للتوحيد، حتى وصل الأمر أن وجد أحد الآباء ابنه يسجد لدمية أطفال؛ لكي تحقق له ما يريد!!

أما في الجانب الاجتماعي والأخلاقي، فلقد أدى الإسراف في عرض الأفلام الغربية، وما سار على نهجها من أفلامنا المحلية إلى تسرب كثير من المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية الخاطئة إلى المجتمع الإسلامي، كشرب الخمر والمخدرات، وعقوق الآباء، والحرية الشخصية دون قيد ولا شرط، وحب الذات، والتفكك الأسري، والاختلاط المريب بين الرجال والنساء، والحب بين الشباب، وذهاب الغيرة المحمودة من استمرار النظر إلى مشاهد الاختلاط، وكشف الزوجة على الأجانب، وسفور النساء والتأثر بالفهم الخاطئ لتحرير المرأة، هذا فضلاً عن تغير المعايير عن القدوة، حتى صارت تطلعات بعض الشباب ومنتهى آمالهم أن يكون كـ «مارادونا» أو «مايكل جاكسون».

كما لعبت أفلام العنف بعقول الصغار؛ مما أدى إلى ظهور بعض التصرفات العدوانية والشاذة بينهم، ووصلت الخيالية والمحاكاة بطفل إلى أن ألقى بنفسه من نافذة أحد الأدوار العلوية بعمارة بالقاهرة محاكياً لشخصية »فرافيرو« في الطيران.

أما عن التأثير السلبي الذي يحدثه التلفزيون في التكوين النفسي والسلوكي للمشاهد، فتعد هذه الظاهرة أكثر وضوحاً في الأطفال الذين

مـا زالوا في مرحة التكوين الـذاتي التي تتأثر تأثيراً بالغـاً بالمؤثرات البيئية المحيطة)[1].

٦- وهذه دراسـة أخرى خطيرة قامت بها مؤسسـة (ريـادة) عن (ألعاب الفيديو وآثارها السلبية الإفسادية) قدمت لذلك مقدمة قالت فيها:

(بمـرور الوقت صـارت ألعاب الفيديـو بمنزلة ثقافـة قائمة بذاتها، فكما أنَّ أغلب الأعمال الأدبية التي تنال شـهرة واسـعة تتحول إلى أفلام. صـار كل فيلـم ناجـح يتحـول إلى لعبة إلكترونيـة، تسـتلهم رواجها من رصيد شـهرة الفيلـم (مثل: هاري بوتـر)، وأحياناً يحـدث العكس، لعبة فيديـو تلقى رواجـاً فتتحول إلى فيلم يلقى نفس الـرواج والنجاح (مثل: لعبة الوهم الأخير، ولعبة غازية القبور).

بـل إنّ الأمـر أخطـر مـن هـذا؛ حيـث إنّ تلـك الألعاب لا تشـكل -فقط- جزءًا مهماً من ثقافة الشـباب المعاصر، بل صارت جزءاً من عالمه ومحيطه، وأصبحت تؤثر بشـكل مباشر في مكونات شـخصيته، مما جعلها تشـكل عنـصراً مهـماً من عنـاصر توازنـه النفسي، بـل ربما تلهمـه ببعض ردود الأفعـال في بعض الحالات التي يواجههـا في الواقع، كما أفاد بذلك أساتذة الطب النفسي، فالألعاب تصنع عالماً افتراضياً موازياً للواقع، عالم أكثـر إبهاراً وتشـويقاً، يتفوق على عـالم الأفلام في أنّه أكثـر تفاعلية، فعند مشـاهدتك الفيلم لا تقوم سوى بدور المتفرج، لكن عند ممارسة (البلاي

(١) «التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات» د. خالد سعد النجار موقع (صيد الفوائد) نقلاً عن مؤسسة ريادة.

ستيشن. Play-Station) تصبح أنت المؤلف، والمخرج وبطل الفيلم.. إذن -بشكل ما- تجد أنّ الألعاب أصبحت اختياراً هروبياً من الواقع بكل تكاليفه، ومسؤولياته إلى أحضان عالم ملون طيَّع، يوهمك باستمرار أنك تستطيع حل كل مشكلاتك بضغطة زر!!

من كل هذا تأتي خطورة الوهم الذي تبيعه شركات الألعاب العملاقة حول العالم؛ فألعاب الفيديو من أكثر البضائع رواجاً، حيث تقدر تجارتها بالملايين، بل إنَّ كل لعبة يتم تصميمها وطرحها في الأسواق لابد وأنَّ يُرفق معها الجهاز الذي تعمل عليه، وبهذه الطريقة نجد سوقين لا ينفكان: سوق الألعاب، وسوق الأجهزة التي ستمارس عليها تلك الألعاب، والمحصلة: مزيد من الأرباح الخرافية لأباطرة صناعة الوهم، ومزيد من الهروب والانحدار والتبلد الذهني يجتاح المجتمع.

ثم ذكرت الدراسة أهم الآثار السلبية لألعاب الفيديو أنقلها هنا باختصار:

- **أولاً: الآثار على العقيدة:**

هناك كثير من المخالفات العقدية في ألعاب الفيديو، وهي بلا شك تؤثر سلباً على معتقدات ممارسي هذه الألعاب، ومن ذلك:

١- اعتقاد أنَّ في الكون قوىً خارقة تستطيع فعل أي شيء:

ولا يقدر عليها شيء، كما في لعبة (ميتل جير سوليد)، وفيها أنَّ نجاة العالم كلّه من التدمير النووي متوقف على (سنيك) بطل اللعبة.

٢- نشر قيم محبة غير المسلمين، والميل إليهم، وتعظيم أعلامهم:

ويكـون ذلـك من خـلال محبة بعض الشـخصيات التي تقـوم بدور البطولـة في تلـك الألعـاب، كشـخصية (إيمـي)، و(سـنيك)، و(كلير)، و(سـكوال)، و(يوشي ميتسـو)، وغيرها من الألعـاب التي تحبب موالاة الكفار وتعظيمهم، وأنهم صانعو البطولات والأمجاد والقدرات وغيرها، أما غيرهم فلا.

٣- نشر فكرة التشبه بغير المسلمين

ومن يشـاهد أطفال المسـلمين يجد ذلك واضحـاً وجليًّا، وخاصة في المظهر الخارجي، فمنهم -على سـبيل المثال- من يلبس السلاسـل تقليداً للعبة ما؛ لأنَّ البطل في هذه اللعبة يلبس قلادة مماثلة، وغير ذلك، والأمثلة على تقليد الأطفال لأبطال هذه الألعاب والتشبه بهم كثيرة.

٤- تعظيم شعائر النصارى وطقوسهم

فكثـير من تلك الألعاب تمجد النصارى والصلبان، وتُظهر الذهاب للكنائـس، وترفـع الصليب، ومـن ذلك أنّ إحدى الألعـاب صورت أنَّ طفـلاً أراد أن يحقـق مجدًا عالياً في لعبة معينـة، ويتمثل ذلك بالصعود على مرتفع معين، وعندما عجز قام ولبس الصليب واستطاع الصعود وتحقيق المجـد، وبعض اللاعبين يقومون بالتثليث حال دخولهم الملعب أو إحراز أحدهـم هدفـاً، كما يقومون بالصـلاة على طريقة النصـارى، ولا يخفى ما لهذه المشـاهد من آثار سيئة على الفتى المسـلم، وأقلّ هذه الآثار أنَّه سوف يتعود على رؤية مظاهر الكفر ولا ينكرها.

obeikandl.com

٥- التعدي على الغيبيات

حيث إنَّ بعض البرامج يوجد فيها: مشاهد تجسد بعض شخصيات اللعبة، ثم يقوم مرة أخرى ثم ترجع إليه روحه، وهكذا، ولا شك أنَّه يخالف العقيدة، ويخالف الواقع في أن من مات لا يعود في هذه الحياة الدنيا؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٦-٨٧].

٦- الاعتقاد في الحظ والسَّحرة والأبراج:

حيث تعمل مثل هذه الألعاب على نشوء ثقافة الاعتقاد في أمور الحظ والسحرة وغيرها من أمور الدجل والشعوذة، فمثلاً في لعبة (ذا باونسر) توجد فتاة اسمها (دومينيك كروس) تمثل نجم الحظ للجميع، حيث يمكن لها جمع الأموال الكثيرة، وتحقيق ما تريد لكل من تقابله أو تجالسه.

٧- تغيير خلق الله:

هناك لعبة أخرى تُسمى (إلين ريزركشن) وهو اسم بطلة اللعبة التي تتعرض لعملية خلط جينات من الشخصية الآلية (ريبلي)، والنتيجة أنَّها أصبحت تملك قوى الآليين الخارقة!!

٨- نشر عشق الموسيقى:

إذ قلَّما يخلو برنامج من هذه البرامج من الموسيقى، بل إنَّ هناك ألعاباً كاملة وضعت لتعليم الموسيقى، كما في لعبة (فب ريبون)، وهي عبارة،

obeikandl.com

عن أرنب تعترضه عوائق كثيرة، فعند تشغيل موسيقى هادئة تقل العوائق، وعند تشغيل موسيقى صاخبة تزيد العوائق، وهناك ألعابٌ أخرى تعتمد الموسيقى أساساً لها، ويظهر ذلك من أسمائها مثل لعبة (سامبا)، ولعبة (روك إن ميجا)، ولا يخفى تحريم سماع الموسيقى في شريعة الإسلام.

كانت هذه نماذج لعدد من المخالفات العقدية في ألعاب الفيديو، ويوجد أمثلة أخرى كثيرة لا تخفى على أحد.

جاء في إحدى الفتاوى عن بعض الألعاب الإلكترونية التي تحمل معتقدات تتنافى مع الإسلام، مثل رجل يستطيع التنبؤ بالمستقبل، ورجل يحيي من مات من جنوده، هل اللعب بتلك الألعاب مباح؟ فكان الجواب: (.. فإنَّ الألعاب التي تحمل معتقدات تتنافى مع عقيدة الإسلام لا يجوز اللعب بها، ولا بيعها، ولا اقتناؤها، ويجب على المسلم أن يحذر منها ويبعد عنها أولاده، لأنَّ التنبؤ بالمستقبل، والإخبار بالغيب، وإحياء الموتى يتنافى مع عقيدة المسلم)[1].

• ثانياً: الآثار على العبادات والأخلاق

من الآثار السلبية لألعاب الفيديو على الجانب الديني والتعبدي ما يلي:

١ - إضاعة الوقت

الذي هو رأس مال العبد في هذه الحياة. ومن ضيع وقته فقد ضيع نفسه، وهو مسؤول عن هذا الوقت الذي أضاعه غداً بين يدي رب

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية، رقم الفتوى (٣٤٩٢٤).

obeikandl.com

العالمين، وقد قال ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ**»[1].. فأحد أبرز هذه الآثار السلبية التي ابتلينا بها من تلك الألعاب ضياع الأوقات فيما لا يفيد؛ حيث إنَّ هذه الألعاب يمكن أن تستغرق ساعات اليوم كله دون أن يمل منها اللاعب، وقد كان يمكن في هذه الساعات اكتساب الفضائل النافعة كحفظ القرآن والحديث، وسماع الأشرطة النافعة، ومزاولة الرياضة التي تفيد البدن.

٢- تضييع الصلوات:

ولا يمكن لأحد إنكار ذلك، فهذه الألعاب كالمغناطيس في جذب الأطفال والمراهقين، بل والكبار أيضاً، فاللاعب إذا رأى أنَّ الصلاة سوف تقطعه عن هذه المتعة والإثارة التي يعيشها، فستكون هذه الصلاة ثقيلة عليه، وسيؤخرها عن وقتها حتى ينتهي من لعبته، وهو بطبيعة الحال لن يصليها مع جماعة المسلمين، مما قد يؤدي إلى بغضها أو تركها بالكلية.

٣- عقوق الوالدين وقطع الأرحام:

وهذا أيضاً من الآثار السلبية لهذه الألعاب.. فالتقاعس عن القيام بالواجبات من بر الوالدين أو صلة الرحم، وزيارة الجيران، كل ذلك بحجة أنَّه ليس لديه وقت، والسبب الحقيقي لذلك هو انشغاله بتلك

(١) الترمذي (٢٦٠٢) باب في القيامة، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦).

الألعاب.. فالأم -مثلاً- تتحسر وهي تشاهد ابنها يقضي الساعات الطوال أمام هذه الألعاب، فتأمره بإغلاق الجهاز والذهاب إلى المسجد للصلاة، أو قضاء بعض الحاجات لها، فلا يسمع لها، ولا يطيع أمرها، فيقع في العقوق -والعياذ بالله- وعقوق الوالدين كما هو معلوم من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى.

٤- العُرِي الفاضح والإباحية:

وهو أحد أخطر الآثار السلبية لتلك الألعاب، ويسعى بطريقة خبيثة إلى ترسيخ صورة ذهنية تُسهِّل على الأطفال والناشئة -والكبار أيضاً- تقبل العري بوصفه أمراً عاديًّا ومقبولاً لا تلبث النفس أن تعتاده ولا تنكره.. فالشكل النمطي الغالب على أبطال وبطلات الألعاب الإلكترونية هو الظهور بملابس تحدد الجسم، وتكشف بعض عوراته كنوع من استعراض إمكانات البطل الجسمانية، فيستطيع اللاعب رؤية أجسام المصارعين والمحاربين العارية التي لا يسترها سوى زي رقيق يظهر عورة الرجل والمرأة ويحددها.

تقول الدكتورة (أفراح الحميضي): (تحتوي بعض أشرطة الحاسب على ألعاب تظهر فيها الشخصيات خاصة النسائية بملابس فاضحة جدًّا، وأحياناً يضاف إلى هذه الملابس الفاضحة قيام تلك الشخصيات بالرقص والغناء برغم أنَّ الألعاب لا تتطلب ظهور تلك الشخصيات ولا رقصهن.

وفي حين آخر تظهر في خلفية اللعبة الموجودة فتيات لا يلبسن سوى ملابس البحر العارية برغم عدم صلتهن باللعبة. وحتى في بعض أشرطة

obeikandl.com

مسابقات السيارات تظهر في بدء كل سباق بعض الفتيات حاملات الراية وهن بلباس البحر).

٥- السبّ والشّتم:

فمعظم تلك الألعاب تتضمن عبارات سباب متكررة، يطلقها بطل اللعبة بشكل تلقائي في حال تعرضه لموقف معين حسب برمجة اللعبة، فتجده -مثلاً- حين تنفذ الذخيرة من مسدسه، يطلق سبة معينة مثل (اللعنة) أو (أيها اللعين)، وحين يقتل أحد الأعداء يطلق سبة أخرى مثل (إلى الجحيم أيها الوغد) وغيرها،.. بل إنَّ بعض الألعاب تعتمد السباب والشتم كأحد وسائل اللعب، كما في لعبة (كويك ٣ آرينا)؛ ففي هذه اللعبة يسمح للاعبين بشتم بعضهم بعضاً عن طريق نظام الرسائل والسخرية. وقد تكون هناك إشارات مخلة بالآداب والحياء يقوم بها بعض اللاعبين.. وهكذا تجد اللاعب الذي يدخل إلى تلك اللعبة بقاموس محدود الكلمات السيئة أو معدوم، يخرج وقد امتلأ قاموسه بألفاظ بذيئة وقبيحة، تصبح جزءًا لا ينفصل عن شخصيته، بل يبدأ في التعامل بها في حياته. نقلاً عن تلك التجربة الخبيثة التي مرَّ بها.

• ثالثاً: الآثار الثقافية

إن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة على مائدة النقاش حول الألعاب الإلكترونية. هو: أهذه ألعاب يقتصر الغرض منها على الترفيه فقط أم أنها تعد أيضاً وسائط ثقافية؟!

والجواب: أن الألعاب كانت قديماً تتصف بأمرين:

الأول: أننا لم نكن ننفصل في ألعابنا عن ثقافتنا وقيمنا، فثقافتنا قبل اللعب، وفي أثنائه وبعده واحدة لم تتغير، فلم نكن نعيش قيماً متناقضة، ولم نكن نعاني من صراع ثقافي تسببه تلك الألعاب، بل كانت تلك الألعاب تساهم في تنشئتنا تنشئة اجتماعية، كما يريدها البيت والمجتمع.

الثاني: كانت ألعابنا جماعية، فلم نكن ننفصل عمن حولنا، وكانت قيمة اللعب ولذته تزداد كلما كثر اللاعبون، ولا أستحضر الآن لعبة فردية من شروطها أن ينعزل فيها اللاعب عمن حوله.

وحتى الألعاب التي وفدت إلينا كلعبة كرة القدم أو الكرة الطائرة أو تنس الطاولة وغيرها، كلها تتسم بهاتين السمتين.

ولكن ومع ظهور الألعاب الإلكترونية مثل (البيكمون)، و(البلاي ستيشن)، و(الأتاري)، وغيرها تغير الأمر؛ حيث أصبح الطفل حينما يلعب ينتقل إلى ثقافة أخرى، إذ أصبح يتعامل معها وفقاً لقيمها، ويستمتع باللعب وحده، فينفصل عمن حوله، ومن ثم فهي ليست مجرد ألعاب، ولكنها وسائط ثقافية تهيمن من خلالها الثقافة الغربية على أطفالنا، ولأنها في الحقيقة وسائط ثقافية فهي تعمل على إعادة صياغة شخصية الطفل وفقاً لثقافة أخرى غير ثقافته الإسلامية، وهذه الصياغة تشمل مشاعره، وطريقة تفكيره، وقيمه، ومفهومه لذاته، مما ينعكس سلباً على سلوكه وعلاقته بنفسه وبغيره.

• **رابعا: الآثار النفسية**

هنـاك بعض الآثار السـلبية النفسـية التي تظهر على مدمني ممارسـة ألعاب الفيديو أبرزها:

١- اضطـراب الأعصـاب وتوترهـا دائماً؛ بسـبب الإثارة المسـتمرة التي يعيشها اللاعب.

٢- تنامـي عقـدة الخـوف والفزع؛ فهنـاك كثير مـن المناظـر المخيفة التي تؤذي اللاعب نفسـيًّا، وقد تسـتمر في مخيلته وتطـارده حتى في نومه، مثـال ذلك: دخول اللاعب المقابر المخيفة في لعبة (فاينل فانتسي ٨)، والدخول إلى مشرحة الأموات، ورؤية الجثث كما في لعبة (هاف لاين جينريشن).

٣- تـؤدي هذه الألعـاب في بعض الأحيـان إلى تنامـي روح العزلة لدى الأطفال؛ فبينما كان اللعب قبل ألعاب الكمبيوتر يعتمد على التجمع وتعدد الأشـخاص، أصبح بإمكان الطفـل أو المراهق أن يجلس أمام جهاز الألعاب وحده ثمان ساعات متتابعة دون أن يحتاج إلى صديق.

٤- في مسـح أكاديمـي للاعبـي الألعـاب على شـبكة (الإنترنـت) وجد الدكتـور (سـتيفن كلاين) من جامعة (سـايمون فريـزر) الكندية أنَّ ٣ مـن كل ١٠ لاعبـين يعترفون بأنهـم يلعبون هـذه الألعاب عوضاً عن القيام بنشـاطات ضرورية أو أكثر أهمية، وفي دراسـة لها وجدت الدكتـورة (يونغ) أنَّ ٥٢٪ من مدمني الألعاب على الإنترنت يعانون من الاكتئاب الإكلينيكي، أو من إدمان سـابق، أو من مشكلة القلق،

وتقـول: (إذا كان المـرء مصاباً بالاكتئاب، فإنه يعاني مخاوف شـديدة مـن رفض الآخرين له، ويحتاج من ثم لنوع من القبول منهم. وحينما يشارك المرء في هذه الألعاب على (الإنترنت)، فإنّه يشعر بأنّه في مكان بديع؛ لأنَّه يستطيع التخفيف من اكتئابه.

٥- تـؤدي هذه الألعاب إلى زرع العديد من الصفـات الذميمة والقبيحة مثـل الأنانيـة؛ فهي تجعـل الطفل أنانيًّـا لا يفكر إلا في إشـباع حاجته من هذه اللعبة، وكثيراً ما تُثار المشـكلات داخل الأسرة الواحدة بين الإخـوة الأشـقاء حول من يبـدأ باللعب، أو من يلعـب، على عكس الألعاب الشعبية الجماعية التي يدعو فيها الطفل صديقه للعب معه.

- **خامساً: الآثار السلوكية**

١- ظاهرة ازدياد العنف لدى الأطفال

لأنّ معظم هذه الألعاب مبني على الضرب والقتل والفتك والقسوة، بل إنَّ هناك برامج تعلم الفتيان كيفية الضرب بالأيدي، والركل بالأرجل، كما في (أوبان كيوس)؛ حيث تقوم (دي آرسي) بطلة اللعبة (وهي شرطية مبتدئة) بالاشتباك بالأيدي والأرجل مع خصومها، هذا بالإضافة إلى كثير من أشرطة ألعاب العنف كالمصارعة، والملاكمة، والكنغوفو. وغيرها.

وقـد ذكرت دراسـتان علميتـان -نشرتا في نـشرة (برسـونالييني آند سوشـال سـايكولوجي) العلميـة- أنَّ ألعـاب الفيديو العنيفـة يمكن أن تزيد من درجة العدائية لدى الأشـخاص أكثر من برامج التلفزيون؛ لأنَّها

obeikandl.com

تشترط مشاركة فعلية للفرد، وتحمله في غالب الأحيان على تقمص دور المعتدي، وأعلن عالما النفس (كريج أندرسون) و(كارن ديل) اللذان أعدا الدراسة أن الشبان العدائيين بطبيعتهم يمكن أن يكونوا أكثر تأثراً بالتعرض المستمر للألعاب العنيفة.

٢- التخريب والإفساد والخروج عن الأنظمة

كما في لعبة (جيت سيت راديو)، حيث يقوم اللاعب فيها بتحطيم الجدران، وتشويه المباني بواسطة علب البخاخات الملونة، وفي هذه اللعبة يعرف اللاعب أنّه خارج على النظام ومع ذلك يتمادى في عمله، ويختبئ من رجال الأمن ويضحك منهم، وكأنهم بهذه اللعبة يقولون للمراهق: أفسد وخرب، وإذا خططت لذلك تخطيطاً سليماً فلن يكتشفك أحد.

٣- الإصابة بجنون السرعة

تؤدي ألعاب مثل (سباق السيارات) إلى إصابة المراهقين بما يسمى (جنون السرعة)، مما يؤدي إلى وقوع كثير من حوادث السيارات نتيجة التأثر بهذه الألعاب.

• سادساً: الآثار الصحية

لا شك أنَّ الجلوس أمام شاشات الألعاب الإلكترونية لأوقات طويلة يؤدي إلى آثار سلبية على صحة الفرد مثل: ضعف الإبصار، نتيجة الإشعاعات الضارة التي تتوجه إلى حدقة العين، واستنفاد طاقات

obeikandl.com

الأطفـال والمراهقين، بحيث لا تكون لديهم قدرة على مزاولة عمل نافع، والإصابة بانحناء في الظهر، وتقوس العمود الفقري.

وقـد أكدت عديد من الدراسـات العلمية أنّ جلـوس الأطفال أمام التلفزيون، ومشـاهدة أفـلام الكرتـون، والأفلام المثيرة، وممارسـة أنواع الألعـاب الإلكترونية (البلاي ستيشـن) لأوقات طويلة سـبب رئيس في إصابة الأطفال بالسـمنة وزيادة الوزن، إضافة إلى تناولهم الطعام المشـبع بالدهـون، وقلـة النـوم، وتأخـر مواعيـد ذهابهـم إلى فراشـهم، وتراجع المجهود البدني، وعدم ممارستهم الرياضة.

- **سابعاً: الآثار الاقتصادية**

ويتمثـل هـذا في إهـدار الأمـوال عـلى شراء تلك الأجهـزة، وشراء البرامـج والألعاب، ثـم في صيانتها.. وهناك مـن لا يكتفي بجهاز واحد أو بعـض الألعاب، بل يعمل على اقتنـاء كل جديد، وقد يتعمد إتلاف ما عنده ليشتري الجديد)[1].

مفاسد أخرى للغزو السلوكي

بالإضافة إلى ما سـبق ذكره ممـا ينشره الإعلام بوسـائله المختلفة من إفسـاد للأخلاق والأعراض، أذكر هنا سرداً مجملاً لأخلاق وسلوكيات أخـرى فاسـدة، يقوم بها أعداء الإسـلام مـن كفرة ومنافقـين في غزوهم لبلدان المسلمين سلوكياً وأخلاقياً، ومنها:

(١) انظر: (ألعاب الفيديو) إعداد مؤسسة ريادة الإعلامية (ص١٣-٢٨) باختصار يسير، ولمعرفة مراجع هذه الدراسة ينظر إلى الدراسة التي أجرتها المؤسسة عن هذا المبحث.

obeikandl.com

١- الإغـراق في الترف والدعة والركـون إلى الدنيا وزينتها والإسراف في التمتع بها، وتكثيف الدعاية لذلك في وسائل الإعلام المختلفة، حتى أصبح التنافس في التوسع في المطاعم والمساكن والملابس والكماليات المختلفـة وأنواع الزينة للمرأة سـائداً بين أكثر النـاس، فصارت أكبر همهم، ومبلغ علمهم.

٢- شـيوع الحسـد والمظالم والتناجش والتقاطع والتباغـض بين كثير من المسـلمين والقرابـات بسـبب التنافـس عـلى الدنيـا وتجارتهـا، وهذا مصداق قوله ﷺ: «**مَا الْفَقْرَ أَخْشَـى عَلَيْكُمْ، وَلَكِن أَخْشَـى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُـمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُـمْ**»[1]. هذا إذا كان حلالاً، فكيف إذا كان أكثر كسب الدنيا بطرق محرمة كما هو شائع الآن.

٣- تضخيـم حقوق المـرأة وكأنها مهضومة الحـق، وتحريضها على التمرد عـلى زيها وزوجها وأسرتها، واسـتهانتها بحجابها ولباسـها وتجرئتها عـلى الاختـلاط بالرجـال، فكثـرت المشـكلات الزوجيـة، وكثرت حـالات الطلاق وفسـاد الأعـراض، وضعفت الغيرة عنـد كثير من الرجال على مولايتهم.

٤- السـعي في تغريب مجتمعات المسـلمين بتغيير أنماط الحياة الإسـلامية فيهـا والتصـورات، وتحويلهـا إلى أنـماط الحيـاة الغربيـة المنبتـة عـن العقيدة والأخلاق النبيلة والسلوك النظيف، وتسخير جميع الوسائل الإعلامية والدعائية والأسفار والسياحة، واستخدام المخدوعين من

(١) البخاري (٢٩٨٨)، مسلم (٢٩٦١).

أبناء المسلمين بالغرب وسلوكياته وأفكاره في نشر التغريب والدعاية له، واستخدام أصحاب القرار في حكومات المسلمين في تنفيذ ذلك، وإصدار القوانين والأنظمة التي تسهل العملية التغريبية في مجتمعات المسلمين.

٥- السعي في نشر المنكرات المختلفة في المجتمعات الإسلامية ومحاولة تطبيعها وفرضها بقوة السلطان، وعدم الاكتراث بإنكار المنكرين حتى يتحول المنكر مع الوقت إلى أمر مألوف غير مستنكر. ومن مكرهم في هذا الشأن اعتمادهم على بعض الأقوال الشاذة والمهجورة لبعض أهل العلم في القديم والحديث في إضفاء الشرعية على مثل هذه المنكرات.

٦- نشر الفرقة بين المسلمين وإذكائها، ولاسيما في أوساط الدعاة العاملين للإسلام، حتى لا يكونوا يداً واحدة في مواجهة الفساد والمفسدين، واستخدام بعض المنتسبين إلى العلم في تغطية هذا الخلاف بغطاء شرعي، يزعمون فيه الغيرة على الدين والوقوف في وجه أهل الغلو والبدع.

obeikandl.com